مفهوم تطور الأصوات

الأصوات لبن الألفاظ وموطن التطور فيها، فتطور الأبنية تغيير يطرأ فى الأصوات التى تقيم بنيتها، والتغيير يقع فى مادة الصوت (الوحدة الصوتية الأساسية) أو صفة الصوت أو حركته (الصوت الثانوى الذى يصاحب الصوت)[1]. وتطور الصوت مراحل تغييره وأطواره، والتحول المتعاقب فى مادته[2].

وقد اصطلح العلماء على مراحل تغير اللغة ونموها متتابعة بمصطلح "التطور اللغوى"[3]؛ ليمتاز عن التطور فى حقول المعرفة الأخرى.

ولا يدخل فى التطور ما يعرف باللحن أو الخطأ اللغوى؛ لأنه خروج عن عرف العربية، فالتطور نمو اللغة وتقدمها واتساعها وتيسيرها فى حيز عرفها وأقيستها المشهورة والنادرة ولغات العرب التى يحتج بها، وجوّز بعض المعاصرين الأخذ ببعض ما أطلق عليه شاذاً من لغة العرب إن أعوزتهم الضرورة إلى ذلك، فجاز العمل به دون توسع، والعمل بالمشهور أصل لا يعدل عنه فى وجوده.

وأجاز العلماء العمل بالنادر أو القليل الذى لا يوجد ما يخالفه فيلتمسون فى كلام العرب وجهاً يخرجون عليه ما وقع فى الخطاب المعاصر، وذلك فيما وقع فى ألسنة الناس وذاع فيهم ولا سبيل إلى رده، فيجوز العمل به إن وافق شيئاً من لغة

---

(1) ارجع إلى: دراسة الصوت اللغوى، الدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب القاهرة، ١٤١١هـ، ١٩٩١م ص ٢٨٣: ٢٨٧.

(2) ارجع إلى: معنى مصطلح التطور فى: قاموس مصطلحات الأنثولوجيا والفولكلور، إيكه مولنكرانس، ترجمة الدكتور محمد الجوهرى والدكتور حسن الشامى، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ص١٠٢، والمصطلحات العلمية والفنية، الخياط ومرعشلى، مجلد ملحق بمجلة لسان العرب المحيط، دار لسان العرب، بيروت جـ٢/١٣٣، ومعجم علم الاجتماع لميتشل، ترجمة إحسان محمد، دار الطليعة، بيروت١٩٥١م ص١٩٧.

(3) اصطلح علماء العربية المعاصرون على إطلاق "التطور اللغوى" على نمو اللغة، ومن هؤلاء الدكتور رمضان عبد التواب رحمه الله تعالى، وله كتابان فيه أحدهما، التطور اللغوى، والثانى لحن العامة والتطور اللغوى، وللدكتور عبد الرحمن أيوب "اللغة والتطور"، ولبرجشتراسر "التطور النحوى فى اللغة العربية"، وهو أقدمها طبع ١٩٢٩م، وتناوله آخرون فى كتبهم اللغوية التى عالجت الأصوات والأبنية والجمل والدلالة، وكتبت فيه بحوث كثيرة.

القدماء من غير المشهور، وفى هذا توسعة وتلبية للضرورة ولبعض وجوه التعبير المعاصرة التى يفرقها عن غيرها مخالفتها فى اللفظ، ومن ذلك جواز الاشتقاق من "المنطق" تمنطق، ومن "المذهب" تمذهب ويعنى اشتغاله بعلم المنطق، وتبنى مذهباً؛ وهذا وغيره لا يلتبس بالاشتقاق من أصل اللفظ[1].

ويقع التطور الصوتى فى اللغة المحكية أو المنطوقة أو الخطاب اليومى المنطوق، فاللغة المنطوقة حية لاستخدامها فى التواصل اليومى والتفاعل الجماعى فليس للخطاب الشفهى ضوابط نصية ثابتة تقيده غير ما تعارف عليه المجتمع فى تواصله اليومى.

ولقد عالج علماء العربية قديماً ما طرأ على أبنية العربية من تطور وتغيير، ويتمثل هذا التطور فى أصواتها ، وقد درسوا هذا فى بعض المصطلحات الصرفية، ومنها: الإعلال، والإبدال (أو البدل)، والقلب والتخفيف، والتعاقب، والتماثل، وقد اختص الإعلال بحروف العلة (الألف، والواو، والياء)، والإبدال والقلب عامان فيما يبدل من غيره سواء أكان صحيحاً أو معتلاً[2]، وكذلك التعاقب والتماثل غير أن الأخير اختص بما تأثر بما جاوره فماثله هو هو أو قاربه دون مطابقته[3].

والتطور فى الأصوات نوعان:

الأول- عارض يقع فيها لمجاورتها غيرها ويزول لزوال أسبابه، فيرجع الصوت إلى

---

(1) ارجع إلى: دراسات لغوية، الدكتور عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، (د.ت) ص٩ وما بعدها، وقد عالج كثيراً من الأبنية الحديثة وناقش العمل بها، وبحث كذلك بعض الكلمات الدخيلة وبعض التعابير ودلالتها، وقد بحث الدكتور محمد حسن عبد العزيز القياس فى مصادر اللغة، وله جهود محمودة فى ذلك، وهنالك بحوث نشرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة تناولت الاحتجاج والقياس.

(2) ارجع إلى: التتمة فى التصريف، محمد بن أبى الوفاء الموصلى، المعروف بابن القبيصى، تحقيق الدكتور: محسن بن سالم العميرى، ط١/١٤١٤هـ-١٩٩٣م ص١٠٠، ١٠١، وارجع إلى: شرح شافية ابن الحاجب، رضى الدين محمد بن الحسن الاستراباذى، مع شرح شواهده لعبد القادر البغدادى، تحقيق محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيى الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت جـ٣/٦٧، ٦٨.

(3) وقد تناولت كتب نوادر اللغة والشوارد والغريب والمعرب عملية التطور وعالجتها معالجة علمية وكذلك الكتب التى تناولت لغات العرب (لهجاتهم) ونوادرهم.

أصله، مثل تفخيم المرقق وهمس المجهور، أو جهر المهموس والإعلال لأسباب صرفية تتعلق بالمجاورة والحركات.

والثانى- دائم يبقى فى الكلام لشهرته وكثرة استعماله حتى يتوهمه الناس أصلاً مثل: الهمزة فى أحد، وتأسلم، ومتأسلم، وأسلمة المجتمع والعلوم، والتاء فى اتجاه واتجه واتقى والتقوى، والميم فى تمنطق، وتمندل، وتمذهب، ومعجنَ، وذلك لكثرة دورانها وشهرتها وارتباط الدلالة ببنائها، فيقع الاشتقاق منها على لفظها دون الرجوع إلى الأصل.

والتطور باعتبار العمل نوعان: الأول- مشهور يطرد فى كل نظير ويشذ ما يخالفه، وهو الذى يسمى قياساً مطرداً.

والثانى- نادر ليس بمشهور فيسمع فى بعض الألفاظ مع ترجيح العمل بالأصل، وهو ما أطلق عليه العلماء قديماً (الإبدال غير القياسى) يريدون به تغير بعض الأصوات فى بعض لهجات العرب فورد الإبدال فيها فى نوادر كلامهم، ولا يقاس عليه لندرته وعدم توسع العرب فيه، ويدخل فى ذلك الأصوات التى تغيرت للمشاكلة فى اللفظ والتعاقب والحمل على اللفظ والإتباع.

والأصوات فى الخطاب المنطوق تخضع لعوامل التيسير والتخفيف والتأليف بين الأصوات المتنافرة والتقريب بينها، والتخفيف وتيسير النطق.

والخطاب المنطوق ميدان التطور اللغوى، فتتغير فيه الأصوات وتستجيب لمؤثرات عوامل التطور، ويقع التطور فى صور مختلفة، منها الإعلال فى أصوات العلة والقلب أو الإبدال فى الأصوات عامة، والتماثل والتقريب بين الأصوات والإدغام والمخالفة بين الأصوات المتماثلة وكراهة توالى الأمثال، وتأثر الصوت بما يجاوره فى المخرج والصفات، وتأثير السرعة فى نطق الأصوات، وانحراف الصوت عن مخرجه فيخرج فى صورة صوت شبيه به.

وليس الحذف بتطور فى الأصوات؛ لأنه انتفاء لوجود الصوت، أو مادته التى يعتورها التغيير أو تطرأ عليها مراحل التغيير والنمو.

ويعد الإبدال القانون العام الرئيسى فى تطور الأصوات، وأصوات العلة والهمزة أكثر الأصوات عملاً به، والإبدال فى اصطلاح الصرفيين عام فى القياسى وغير القياسى بيد أنهم خصَّوا ما وقع فى حروف الإعلال (ا، و، ى) بمصطلح أو الإعلال[1].

فإن دخلت الهمزة معها استخدموا مصطلح "القلب"؛ لأن الهمزة – على المشهور– ليست من أحرف العلة.

والإبدال اصطلاحاً: جعل حرف مكان غيره، فهو أعم من الإعلال، ومثَّل له ابن الحاجب بأمثلة منها: تراث، والأصل وراث قلبت الواو فيه تاء، ومثلها: أجوه، والأصل: وجوه، وجعل من ذلك ضويرب تصغير ضارب، واصطبر قلبت التاء طاء، والأصل: اصتبر وزن افتعل[2]، فالإبدال كل تغيير يقع فى بنية الكلمة سواء أكان مطرداً قياسياً، أو نادراً، وسواء أكان صحيحاً أو معتلاً.

والإعلال يختص بأصوات العلة وسميت به لضعفها وتأثرها بغيرها وتغيرها، وهو تغيير للتخفيف، فالإعلال يقع فى الأصوات غير الصحاح بيد أن الإبدال يقع فى كل الأصوات الصحاح وغير الصحاح، وحروف الإعلال ثلاثة: الألف والواو والياء، والألف تكون منقلبة عن أصل متمكن (الواو أو الياء)؛ فالألف لا تكون أصلاً فى اسم أو فعل.

والهمزة ليست من أحرف الإعلال، وإبدال الألف والواو والياء منها فى مثل: فاس، سور، وبير، يسمى تخفيفاً وليس بإعلال، والمشهور من ذلك مصطلح الإبدال، ويطلق على تغيير فى حروف العلة والهمزة والحروف الصحاح؛ لأنه عام فى كل

---

(1) حروف الإعلال: الألف والواو والياء، وأدخل بعض العلماء الهمزة فيها لوقوع القلب فيها قياساً على نحو ما وقع فى حروف الإعلال، وقد جعلها الخليل (كتاب العين جـ١/٦٥) فى الأصوات غير الصحاح؛ لأنها قد تقلب ألفاً أو واواً أو ياءً، وقد تقلب هذه الأصوات همزة فى المطرد، وأرى أن الهمزة المحققة " ء " غير المخففة حرف صحيح.

(2) ارجع إلى: شرح شافية ابن الحاجب، دار الكتب العلمية، جـ٣/١٩٧، وشرح المفصل، ابن يعيش، المكتبة التوفيقية، م٤/٣٣١.

تغيير يقع فى الأصوات.

والإعلال يتحقق فى أحد ثلاثة: القلب، والحذف (وهما فى الحروف)، والإسكان (فى الحركات). والقلب فى اصطلاح الصرفيين مختص بإبدال حروف العلة وإبدال الهمزة، بيد أن وقلب الهمزة يكون تخفيفاً، وقلب حروف العلة يكون إعلالاً؛ لأنها تتغير ولا تبقى على حال، وهذا التغيير لطلب الخفة وليس لثقلها، والتخفيف يكون لئلا تحتمل أدنى ثقل[1]. والإبدال على ثلاثة أنواع: أولها- بدل من أصل، والثانى- بدل من صوت زائد، والثالث- بدل من بدل.

أولاً- البدل من أصل: وهو أن يحل صوت آخر موضع صوت من أصول الكلمة نحو: ميقات، الياء فيها بدل من الواو فى وقت، فالأصل: موقات، وقعت الواو ساكنة بين كسر وفتح، فقلبت ياء. ومثلها الياء فى مِيزَان أصلها: مِوْزان. ومثلها: ميعاد: مِوْعاد. ومثلها الياء والواو فى عين الأجوف فى بيع وقول تقلبان ألفاً لانفتاحها وانفتاح ما قبلها، فصارتا: باع، وقال. ومثلهما الواو آخر الكلمة فى غزا أصلها: غزو، والياء فى رمى (تنطق ألفاً) أصلها: ياء، ويطرد هذا فى كل نظير.

ثانياً- الإبدال من الزائد: وهو أن يبدل صوت من صوت زائد عن أصول الكلمة، ومن ذلك جمع: كافرة: كوافر، قلبت الألف واواً فى بناء الجمع "فواعل" فالواو بدل من الألف الزائدة.

ثالثاً- البدل من البدل: أن يبدل صوت من صوت مبدل من آخر من أصول الكلمة أو من الزوائد، ومن ذلك: رحى (أو رحا بألف، قيل من رحيت. وقيل من رحوت)، يقال فى النسب: رحوىّ، الواو بدل من الألف فى "رحا"، وأصلها: رحيت أو رحوت. ومثلها: أغزى (آخرها ألف) والألف بدل من الياء فى "أغزيت"، والياء بدل من الواو فى "الغزو"[2].

والبدل باعتبار حدوثه- لازم وجائز، فاللازم: ما لا يجوز معه استعمال الأصل

---

(1) شرح الشافية جـ٣/٦٧، ٦٨.

(2) التتمة فى التصريف، لمحمد بن أبى الوفاء الموصلى المعروف بابن القبيصىّ، ص١٠١.

بعد ثبوت العمل به واطراده كالألف فى: قال وباع. لا يجوز استعمال الأصل: قَوَل وبَيع.

والجائز أو غير اللازم: ما يجوز فيه استعمال الأصل، كالواو فى: وُجوه، جاء فيها من لغة القدماء: أُجوه، والمشهور الأول، ومثله: وِعاء وإِعاء. وذئب وذيب.

والإبدال- باعتبار العمل به- مطرد وغير مطرد: فالمطرد: ما كان له حد وقياس يقتدى العمل بلزومه فى كل نظير؛ ويدخل فيها الإعلال بالقلب فى مثل: باع وقال، وميقات وميزان. وغير المطرد: ما لا يكون له قياس، وليس بشائع، ويأتى فى كلمات نادرة سمعت من العرب، فلا يؤخذ به فى كل موضع شابهها فى غير ما سمع عن العرب، ومن ذلك: قلب الهاء همزة فى لفظ "ماء"، والأصل فيه "موه" تحركت الواو بالفتح فقلبت ألفاً "ماه" ثم قلبت الهاء همزة، وقد قيل فى جمعها: مياه وأمواه، ولا يقاس عليها[1]. واختلف العلماء فى الإبدال الذى يقع فى الأصوات الصحاح، فجوَّزه بعضهم على ألا يذهب التبديل بمعنى الكلمة أو أن يخرق قانوناً صوتياً وأن تكون له أسبابه الصوتية. وقد عده بعض العلماء ظاهرة صوتية مسلم بها، لوقوعها فى كلام العرب، فعده من سنن العرب فى كلامهم، فهم يبدلون الحروف ويقيمون بعضها مقام بعض، ومن أصحاب هذا المذهب ابن فارس (ت٣٩٥هـ)[2]، وسلم بوقوعه فى الأصوات الصحاح نحو: مدحه ومدهه، وقد جمع العلماء هذه الظواهر وفسروا أسباب وقوعها[3].

---

(1) التتمة فى التصريف ص١٠١، وشرح الشافية جـ٣/١٩٨.

(2) الصاحبى، ابن فارس؛ تحقيق السيد صقر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٣م ص٣٣٣.

(3) بحث القدماء ظاهرة الإبدال، ومنهم: اليزيدى (ت٢٠٢هـ)، واللحيانى (ق٢هـ)، والشيبانى (ت٢٠٦هـ)، وقطرب (ت٢٠٦هـ)، والفراء (ت٢٠٧هـ)، وأبو عبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٠هـ)، وأبو زيد الأنصارى (ت٢١٦هـ)، وابن الأعرابى (ت٢٣١هـ)، والكسائى (ت٢٣١هـ)، والأصمعى (ت٢١٦هـ)، ويعقوب بن السكيت (ت٢٤٤هـ)، وله كتاب القلب والإبدال، وعبد الرحمن الزجاجى (ت٣٤٠هـ)، صاحب الإبدال والمعاقبة والنظائر، وأبو الطيب اللغوى (٣٥١هـ)، صاحب الإبدال (الحروف المتعاقبة)، وتناوله علماء الصرف وهو باب رئيس فى علم الصرف، وعالجه كبار النحاة مثل: سيبويه والمبرد، وابن الحاجب والزمخشرى وغيرهم.

وأجازه ابن جنى (ت٣٩٢هـ) للضرورة التى تستوجبه، فقصره على ما سمع من القدماء، ولم يجز التوسع فيه، فقد رأى أنه متى "أمن أن يكون الحرفان جميعاً أصلين كل منهما قائم برأسه لم يسغ العدول عن الحكم بذلك، فإن دل دال أو دعت ضرورة إلى القول بإبدال أحدهما من صاحبه عمل بموجب الدلالة وصير إلى مقتضى الصنعة"[١]، ولم يجز ترك الأصل إلى الإبدال، وناقش بعض ما ذكره العلماء ورده إلى أن كل منها أصل فى موضعه وليس فيه إبدال نحو: هتن وهتل، قال امرؤ القيس[٢]:

فسحت دموعى فى الرداء كأنها كُلى من شَعِيب ذات سَحّ وتهتانِ

وقال العجَّاج[٣]:

عزَّز منه وهو مُعْطِى الإسهال ضربُ السوارى متنه بالتهتال

رأى ابن جنى أن هتلت السماء وهتنت أصلان كل منهما قائم برأسه، ودليل مذهبه أنهما متساويان فى التصرف: هتنت السماء تهتن تهتاناً، وهتلت تهتِل تهتالاً، وهى سحائب هتن وهُتَّل، وبعض المتأخرين رأوا أن امرأ القيس جاهلى (ت٨٠ق.هـ)، والعجاج إسلامى (ت٩٠هـ)، وهذا البعد الزمنى يحتمل الإبدال فليس الشاعران بمتزامنين[٤]، ويقوى الإبدال أن المعنى واحد والتصريف واحد أيضاً، وأن اللام والنون من اللثة، وأنهما رخوان ومستفلان فاتفقا فى المخرج والصفات، وهذا ييسر وقوع الإبدال بينهما ويسوغه، وهنالك مواضع أخرى اعتورا فيها الإبدال[٥]. وقد توسع الخطاب اليومى فى إبدال النون من اللام نحو: إسماعيل وإسماعين، ونفحته النار من نفح، وعلوان وعنوان، ونكز ولكز ووكز.

---

(1) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جنى، تحقيق محمد على النجار، الهيئة العامة للكتاب جـ٢/٨٤.

(2) نفسه.

(3) ملحق ديوان رؤبة ص٨٦، والخصائص جـ٢/٨٥.

(4) ارجع إلى: مقدمة محقق كتاب الإبدال والمعاقبة والنظائر لأبى القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى، تحقيق الدكتور فوزى الهابط، دار الولاء، شبين الكوم، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

(5) وقع إبدال بين اللام والنون فى: أبنت الميت وأبَلته، وإسماعيل وإسماعين وجبريل وجبرين. الإبدال والمعاقبة ص٩٣، ٩٨.

والإبدال يقع على مراحل تاريخية متعاقبة، فينزل صوت منزلة صوت آخر لاشتراكه معه فى المخرج أو قربه منه أو لاشتراكهما فى صفة أو أكثر، ويقوى أن يشتركا فى المخرج والصفات، فتفرق بينهما صفة أو حركة العضو الصوتى، وينـدر وقوعه، ويقع فى بيئة لغوية واحدة أو جماعة لغوية، فقد ورد مسموعاً عن القبائل، فنسبت الظواهر الصوتية لقبائل، اشتهرت بها، ووقع اختلاف اللهجات فى البوادى لمشقة التواصل بين قبائلها، وظهرت اللغة المشتركة فى الحواضر لسهولة التواصل.

وليس الإبدال مطرداً فى الصحاح بل مسموعاً، قال أبو الطيب اللغوى (ت٣٥١هـ): "ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف مكان حرف، وإنما هى لغات مختلفة لمعان متفقة، تتقارب اللفظتان فى لغتين لمعنى واحد، حتى لا يختلفان إلا فى حرف واحد...."[1]، وأكد أن القبيلة تصطلح على نطق واحد – وهى أمة واحدة – فالهمز والتسهيل لا يكون فى لهجة واحدة، وقد نسبت ظواهر إلى قبائل ليست فى غيرها.

وأكد العلماء أن الاختلاف لا يقع فى نطاق قبيلة واحدة بل يقع فى جماعتين مختلفتين: "إنما يقول هذا قوم، وذلك آخرون"[2]، وحقق العلماء القول فى هذا فيما سمعوه من الأعراب، قال أبو حاتم السجستانى (ت٢٥٥هـ): "قلت لأم الهيثم (عمته): كيف تقولين أشد سواداً من ماذا، قالت: من حلك الغراب. قلت: أتقولينها: من حنك الغراب؟ قالت: لا أقولها أبداً"[3].

وقد يقع لفظ من قبيلة فى لسان قبيلة أخرى فيتوهم السامع أن اللفظ له وجهان فى لسان قبيلة، وهذا بعيد، وقد ورد لفظان بينهما إبدال، ونسبا إلى قبيلة واحدة، فتوهم بعض المتقدمين أنهما وقعا فى لسان واحد، ومن ذلك ما ذكره ابن السكيت:

---

(1) كتاب الإبدال؛ لأبى الطيب اللغوى، تحقيق عز الدين التنوخى، نشر مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، ١٩٦٠م، ص١٠، وما بعدها.

(2) السيوطى جـ١/٤٦٠.

(3) جمهرة اللغة لابن دريد (ت٣٢١هـ)، صادر، بيروت، جـ٢/١٨٥، وأم الهيثم من بنى نمير بن عامر الشيبانى. الجمهرة ٤/٨٠٧.

"حضرنى أعرابيان من بنى كلاب، فقال أحدهما: إنفحة، وقال الآخر: منفحة، ثم افترقا على أن يسألا جماعة من أشياخ بنى كلاب، فاتفق جماعة على قول ذا، وجماعة على قول ذا، وهما لغتان"[1]. وهذه الرواية تحتمل إجازة الوجهين لوقوعهما فى كلام العرب، وقد أثبت ابن جنى ذلك[2].

والإبدال فى غير أصوات العلة غير قياسى عند الصرفيين، ولا يتوسعون فيه ولا يقيسون عليه، ويسميه اللغويون لهجات أو لغات.

والتطور أكثر وقوعاً واطراداً فى أصوات العلة والهمزة لمرونتها وقبولها التغيير؛ لتأثرها بما يجاورها فى المخرج والصفة ولتأثرها بنوع الحركة، والسرعة فى الأداء والتشويش السمعى والتحريف وتأثير اللغات الأجنبية.

وسنتناول التطور الصوتى فى أصوات العلة والهمزة، ونبين التطور المطرد فى كل نظير وما وقع عارضاً وليس بمطرد، وسنبدأ بالحديث عن الهمزة لعلاقتها الحميمة بأصوات العلة؛ ولأنها تقلب إليها والعكس، فصار تقديم الهمزة عرفاً، وليست من أصوات العلة بل تشبهها فى كثرة التغيير حتى قيل إنها منها، والراجح أنها من الأصوات الصحاح.

أولاً- تطور الهمزة :

تطورات الهمزة ألفاً وواواً، فالهمزة تقلب ألفاً فى حشو الكلمة وآخرها، ولا تقلب ألفاً فى أولها؛ لأن الألف ساكنة، ولا يبتدأ بالساكن، وتطورت الهمزة ألفاً تخفيفاً؛ لئلا يبتدأ بهمزتين فى نحو: آدم قيل أصله: أَ أْ دم، فقلبت الهمزة الثانية الساكنة ألفاً تخفيفاً، ومثلها: آخر وزن أفعل من أخر، ونحو: آمَنَ وزن أفعل من أَمِن[3] ويطرد هذا فى كل ما كانت فاؤه همزة والأولى منهما مفتوحة، وهذا القلب واجب لاجتماع الهمزتين وسكون الثانية وانفتاح ما قبلها.

---

(1) ارجع إلى: المزهر، للسيوطى، تحقيق المولى، والبجاوى، وأبو الفضل، دار التراث جـ١/٤٧٥.

(2) الخصائص جـ٢/٨٤، وما بعدها.

(3) التتمة فى التصريف ص١١٦، وسر الصناعة جـ٢/٢٠٦.

وخففت الهمزة ألفاً فى فصيح العربية، وهى لغة مشهورة فى أهل الحجاز، وجاءت فى القراءة المشهورة، فقد قرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر: ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ﴾[سبأ:١٤] منساته على إبدال الألف من الهمزة تخفيفاً وتسهيلاً، فأصوات اللين أيسر نطقاً من الهمزة المحققة التى يتفجر فيها الهواء بعد أن يحبس فى الصدر بيد أنه فى الألف يخرج طليقاً دون حبس أو ضغط فى الصدر، وقوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[المعارج:١] قرأها نافع وابن عامر (سال) بقلبها ألفاً[1].

وقد تقلب الواو همزة حملاً على المهموز للمشاكلة فى اللفظ، ومن ذلك قول النبىﷺ لنسوة تبعن جنازة: "ارجعن مأزورات غير مأجورات"[2] قلبت الواو فى موزورات همزة لتشاكل همزة مأجورات، وهذا ليس مطرداً، ورواه بعض العلماء لتخفيف الهمزة ألفاً: "ارجعن مازورات غير ماجُورات"[3]، وهذا يوافق لهجة أهل الحجاز.

وقال حسان بن ثابتﷺ[4]:

سالت هذيل رسول الله فاحشة ضلَّتْ هُذَيلُ بما سالَتْ ولم تُصِبِ

الشاهد: سالت بتخفيف الهمزة المفتوحة ألفاً، وقال الفرزدق[5]:

راحت بمسلمةَ البغالُ عَشِيَّةً فارْعَىْ فزارةُ لا هناكِ المرتع

الشاهد: هناك، خففت الهمزة ألفاً، والعامة تقول: هنَّانى. ونحو: المراة بألف خالصة، حكى ذلك سيبويه عن العرب أبدلوا الهمزة المفتوحة ألفاً ثم فتح ما قبل الألف، فالألف تستوجب فتح ما قبلها، وقيل إن حركة الهمزة ألقيت على الساكن

---

(1) البحر المحيط جـ٨/٢٣٢.

(2) أخرجه ابن ماجه: ١٥٧٨، وكنز العمال: ٤٢٥٨١.

(3) سر صناعة الإعراب جـ٢/٢١٠، وقد رواه ابن جنى مخففاً.

(4) شرح الشافية جـ٤/٢٥١، وديوان حسان ص٣٧١، والكتاب لسيبويه جـ٣/٤٦٨.

(5) ديوان الفرزدق ص٥٠٨، والمقتضب ١/١٦٧، والخصائص ٣/١٥٢، وسر الصناعة جـ٢/٢٠٨، وكتاب سيبويه جـ٣/٥٥٤.

قبلها تمهيداً لتخفيف الهمزة[1].

وقد صارت الهمزة واواً قياساً وغير قياس والواو شفوية والهمزة حنجرية، فقلبت واواً أولاً وحشواً وآخراً، فأما قلبها واواً أولاً، فليس بقياس بل فيما سمع عن العرب، وله نظير فى خطابنا اليومى، ووقع ذلك تخفيفاً نحو قولهم: قتل وباك ووخاك. والأصل الهمزة: أباك وأخاك.

ويقولون: وكَّد وأكَّد، وورَّخ وأرَّخ، واخى وآخى: واخيت زيداً، والأصل: أخو، فقلبت الهمزة واواً وأعلت الواو فصارت ياء مثل: واو غازيت، فالأصل: غزو، ولا يجوز أن تكون الواو فى فاء واخيت أصلاً؛ لأنه ليس فى كلام العرب كلمة فاؤها واو ولامها واو، وقد تكون الواو أصلاً، ولكن الهمزة التى صارت إليها اشتهرت بها الكلمة ثم تخفف الهمزة ثانية واواً عودة إلى الأصل نحو: أحد عشر، أصل الهمزة واو، لكن الأصل غير مستعمل فتوهم السامع أن الهمزة أصل، فجمعت على ما صارت إليه أحاد مثل: أمل: أمال، والأصل: وحد: وحاد.

وبعض العرب يخففون الهمزة فيقولون: وَحَدَ عشر. ومثلها: وناة تخفيفاً والواو أصل من ونى، فتوهم فيها السامع أن الهمزة فى أناة أصل فقال تأنَّى، وفى التأنى السلامة، فخفف بعضهم، فقال: وناة: امرأة وناة من الونى وهو الفتور[2].

وقولهم: وحمد فى أحمد. وقرأ أبو عمرو بن العلاء: ألا: ولا فى قوله تعالى: ﴿كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء﴾[البقرة:١٣] وهذا شاذ[3]، والمشهور تحقيق الهمزة: ألا. وهذا من المسموع وليس بقياس، ولا تقلب الهمزة واواً قياساً فى أول الكلمة.

ومن ذلك قول العامة: وكل: أكل، وخْد: أخذ. ونس: أنس. واخى: آخى، ويقولون: واخر يريدون: آخر، وخير: أخير.

---

(1) شرح المفصل جـ٤/٢٥٠.

(2) سر الصناعة جـ٢/١٢٥، ١٢٦.

(3) سر الصناعة جـ٢/١٢٦، وارجع إلى: البيان فى إعراب القرآن جـ١/٢٢.

وتقلب الهمزة واواً فى حشو الكلمة وآخرها وجوباً فى بعض المواضع، ومنها: إذا اجتمعت همزتان الأولى مضمومة، والثانية ساكنة وجب إبدال الثانية واواً من جنس حركة الأولى تقول: أنا أُومِن بالله، المضارع من آمن، وكذلك المبنى للمجهول: أُومِن فُلان، ويطرد فى كل نظير.

وتقلب كذلك فى كل همزة تأنيث ممدودة فى التثنية والجمع والنسب: صحراوان، وصحراوات، وصحراوى، وهو قلب لازم فى كل نظير.

وقد تقلب الهمزة ألفاً ثم واواً نحو قولك فى تصغير آدم وآخر، وجمعهما: أُوَيْدم، وأُوَيخر، وأوادم وأواخر، فالألف فى آدم وآخر أصلها همزة وزن "أفعل": أأدم وأأْخر من الأدمة والتأخر، فانفتحت الهمزة الأولى، فأبدلت الثانية ألفاً فى آدم وآخر ثم جرت الألف فيها مجرى الألف الزائدة فى فاعل (الألف فيها زائدة)[1]، فتغيرت الألف فيها فصارت من جنس الحركة التى تسبقها فى أويدم وأويخر، وقلبت واواً فى الجمع؛ لئلا تلتقى ألفان فى أفاعل، وجعلت واواً لا ياء لتماثل واو التصغير وواو فواعل فى ضوارب جمع ضاربة.

وخففت الهمزة فقلبت واواً فى رؤيا: رويا، ونؤى (الحفير حول الخيمة): نوى، صحت الواو الساكنة قبل الياء، وبعض العرب قلبوا الواو ياء، فقالوا: ريًّا، وريَّة فى تخفيف رؤيا ورؤية. وخففت واواً فى لوم: لؤم، جُوَن (جمع جؤنة: سلة من الجلد): جُؤَن، سُور: سُؤْر.

وقد تقلب الهمزة واواً ثم تدغم فى الواو التى تسبقها نحو: سوّة فى سوءة قلبت الهمزة واواً بعد ياء أصلية.

وتقلب كذلك بعد الواو الزائدة نحو: مقرّوة فى مقروءة، ومرجوَّة فى مرجوءة، قلبت الهمزة واواً ثم أدغمت الواو فى الواو، وهذا قليل فى اللغة[2].

وقالت العامة: مخبىّ فى مَخْبُوّ مخفف مخبوء بالهمزة (اسم المفعول)، وقال فى اسم

---

(1) سر الصناعة جـ٢/١٢٧، ١٢٨.

(2) شرح الملوكى ص٢٦٥.

الفاعل مَخبئٌ، والأصل: مُخَبِّئ، خففت الهمزة ياء، وقال فى تخفيف الهمزة: رُيَّة ورُيًّا بالإدغام (الواو المقلوبة ياء فى الياء)[1]. فالياء قلبت عن واو، والواو تخفيف الهمزة فى روية ورويا، وهذا شاذ.

وتقلب الهمزة ياء وجوباً مطرداً فى بعض المواضع، وقلبت جوازاً تخفيفاً، بيد أن الهمزة فى أول الكلمة لم تقلب ياء خلافاً لقلب الهمزة واواً فى أول الكلمة فيما سمع عن العرب، ولم يسمع عنهم قلب الهمزة ياء.

وقد قلبت الهمزة ياء وجوباً فى بعض المواضع منها: اجتماع همزتين والأولى منهما مكسورة، فتقلب الثانية ياء وجوباً؛ لأن الياء من جنس حركة الكسرة، وهنالك مشقة فى نطق همزتين متتابعتين، بيد أن الياء فيها لين واتساع وسهولة فى النطق، والعرب يميلون إلى التيسير والتخفيف.

وقد اجتمعت همزتان الأولى مكسورة والثانية ساكنة فقلبت الثانية ياء نحو: إيلاف مصدر آلَفَ يُؤلف إيلافاً مثل: آمن يؤمن إيماناً[2].

وقد خففت الهمزة الثانية ألفاً فى الفعل آمن وآلف، ومثلها: آنس: إيناس، والأصل: إئناس، وآثر: إيثار، قلبت الهمزة الثانية ياء لسكونها بعد همزة مكسورة وفتحة بعدها، ويطرد هذا فى كل نظير.

والهمزة المكررة تخفف إلى صوت من جنس حركة المتحركة؛ لئلا تستثقل فى الأداء[3].

واسم الفاعل مما لامه همزة نحو: جاء: الجائئ، فتقلب الأخيرة ياء تخفيفاً: الجائى، قلبت ياء لمجيئها بعد همزة مكسورة. وشاء: الشائئ: الشائى، وبعضهم يقول الشايئ على القلب، فوقعت الهمزة فيه موقع اللام والياء موقع العين وزن فالع.

---

(1) شرح الشافية جـ١/٢٦.

(2) إعراب ثلاثين سورة، ابن خالويه، ص١٩٥.

(3) ارجع إلى: التتمة فى التصريف ص١٢١، والتطور النحوى للغة العربية برجشتراسر، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجى، مصر، دار الرفاعى، الرياض، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م ص٣٩، وتخفيف الهمزة فى لغة أهل الحجاز (مكة، المدينة، هذيل).

وقلبت الهمزة ياء جوازاً فى بعض العرب (سكان الحجاز) يقولون: بير، وبيار (بئار)، وذيب، وروى البخارى[1] أن أبا هريرةﷺ قال لعمرﷺ: "أقرينى". يريد: أقرئنى. وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما: "أن النبىﷺ أتى بكتف مشوية فأكل منها فتملَّى ..." تملَّى من الملْأَة بمعنى الامتلاء.

وقال أبو عمر الهذلى: "قد توضيت"[2] فلم يهمز، وقال عبد الله بن رواحةﷺ: "باسم الإله وبه بدينا"، والأصل: بدأنا، فخففت الهمزة، فكسرت الدال فانقلبت الهمزة ياء. وقال ابن خالويه: ليس أحد يقول: بديت بمعنى بدأت إلا الأنصار[3].

وقلبت الهمزة فى آخر الكلمة ياء فى نبىّ، والأصل: نبىء، ونحو: واجى، أصله: واجئ. قال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت[4]:

وكنتَ أذلَّ من وتدٍ بقاعٍ يشجِّج رأسَه بالفهر واجى

يريد: واجئ، فأبدل الهمزة ياء، وأجراها مجرى الياء الأصلية.

وقال ابن هَرْمة[5]:

إنّ السباع لَتَهْدَى عن فرائسها والناسُ ليس بهادٍ شرُّهم أبدا

يريد: ليس بهادئ، فأبدل الهمزة ياء ضرورة ثم حذفت للتنوين مثل ياء قاضٍ وماضٍ.

وقلبت الهمزة نوناً فى نادر كلام العرب، ومنها النسب إلى صنعاء: صنعانى، وبهراء: بهرانى، وهذا نسب غير قياسى، وهذا قليل، فالنون صوت لثوى مائع، والهمزة حنجرى شديد.

وبحث ابن جنى قلب الهمزة نوناً، فرأى أن النون علامة التأنيث فى فعلن وقلن،

---

(1) البخارى، باب الأطعمة.

(2) اللسان١٤/١، سر الصناعة جـ٢/٢٦٩.

(3) اللسان١٨/٧١. وجمهرة اللغة٣/٢٠٢.

(4) الكتاب جـ٢/١٧٠، والخصائص جـ٣/١٥٢، وسر الصناعة جـ٢/٢٦٩.

(5) ديوان ابن هرمة ص٩٧، وسر الصناعة جـ٢/٢٧٠.

والهمزة علامة التأنيث فى الأسماء فى فعلاء، فأشبهت النون الهمزة فى هذا الوجه فنزلت النون منزلتها فى صنعانى وبهرانى[1]، وهذا توجيه ليس ببعيد.

وذهب أبو على الفارسى مذهباً آخر: أن النون تشبه حروف اللين شبهاً قوياً، فى الغنة التى تشبه اللين، والزيادة فى حروف الزيادة وتخفى فى الياء والواو، فرأى أن الهمزة قلبت واواً فى صنعاوى وبهراوى.

ثم قلبت الواو نوناً، وهذا مذهب ليس ببعيد وارتضاه ابن جنى عن أستاذه أبى على الفارسى[2].

وأرى – اجتهاداً – أن النون فى صنعانى وبهرانى، ليست منقلبة عن الهمزة بل زائدة مثل نون روحانى وربانى، ودليل ذلك أن قلب الهمزة نوناً لم يسمع فى غير النسب.

وصارت الهمزة هاء فى بعض كلام العرب على غير القياس، مثل قول بعضهم إياك: هياك؛ قال طفيل الغنوى[3]:

فَهيَّاكَ والأمر الذى إن توسَّعَتْ موارده ضاقت عليك مَصادِرُهْ

الشاهد: هيَّاك، والأصل: إياك، وبعض العرب يقول: أيَّاك بفتح الهمزة، فيفتح الهاء فى القلب، وطيئ تقول: هِن فَعَلَ فَعَلتُ، قلبت الهمزة فى إن الشرطية هاءً، ويقولون: لهَنَّك قائم. والأصل: لأنك قائم[4]. وقرأ الحسن وعكرمة وأبو حنيفة وورش "طهْ" ساكنة الهاء دون مد فى قوله تعالى: ﴿طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾[طه:١، ٢] بتسكين الهاء، وهى على هذا الوجه أصلها: طَأ، أراد طأ

---

(1) سر الصناعة جـ٢/٩.

(2) التكملة ص٥٦٤، وشرح الملوكى ص٢٨٦، وسر الصناعة جـ٢/١٢، ١٣.

(3) ديوان طفيل الغنوى ص١٠٢، والمحتسب جـ١/٤٠، وسر الصناعة جـ٢/١٠٧، وتاج العروس للزبيدى ١٠/٤٣٨، ولسان العرب: أيا، هيا.

(4) سر الصناعة جـ٢/١٠٧، وسمع عن العرب فى آتى يؤاتى: يهاتى، والعامة تقول: يهاتى بمعنى: نادى فلم يسمع ولم يطع.

الأرض بقدميك جميعاً؛ لأن النبىﷺ كان يرفع إحدى رجليه فى صلاته، والمشهور فى "طه" الفتح[1].

وحمل بعض العلماء أراق وهراق على هذا الوجه، ومثله أنرت الثوب وهنرته، وأرحت الدابة وهرحتها.

وروى العلماء كثيراً من ذلك فى باب الإبدال، وتفسير قلب الهمزة هاءً أنهما من مخرج واحد، وأن الهاء أيسر نطقاً من الهمزة، فالهمزة شديدة يحتبس فيها الهواء ثم ينفجر بيد أن الهمزة احتكاكية.

وبعض العرب يخففون الهمزة ألفاً وواواً وياءً لشدتها ومن ثم قلبت فى لسان بعضهم هاء تيسيراً[2]، والأصل تحقيق الهمزة، وهذا القلب غير قياسى.

ثانياً- تطور الألف :

صوت أجوف هوائى عند القدماء يمتد فيه النفس[3]، وهو أكثر الأصوات تعرضاً للتطور فهى تقلب عن أصلين الواو والياء، وتقلب إليها الهمزة تخفيفاً فى لهجة بعض العرب، والقلب فيها يكون واجباً أو جائزاً أو شاذاً.

وتقلب الألف همزة وجوباً مطرداً إذا سبقت بألف زائدة فى بناء فعلاء نحو: حمراء، صحراء، وقعت الألف بعد ألف مد زائدة، فالتقت ألفان زائدتان الأولى منهما الزائدة والثانية ألف التأنيث المقصورة فى حمرى، وصحرى[4]، وقد قلبت لاجتماع الألفين فى صحراا، وحمراا. زادت ألف أخرى للمد، فاجتمع ألفان، فوجب قلب الثانية المتطرفة همزة[5].

---

(1) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسى، جـ٧/٣٠٨، وارجع إلى: سر الصناعة جـ٢/١٠٨، ومعانى القراءات جـ٢/١٤١.

(2) الهمزة والهاء صوتان حنجريان مهموسان فى علم الأصوات الحديث، بيد أن الهمزة شديدة والهاء احتكاكية.

(3) ارجع إلى: العين، الخليل جـ١/٦٥، وكتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، الخانجى جـ٤/٤٣١.

(4) العامة تستخدم الألف المقصورة دون الهمزة الممدودة، وسقطت الألف ونزلت الهاء موضعها فى: حمره، صفره.

(5) سر صناعة الإعراب جـ١/٨٥، ٨٦، وشرح الشافية ٣/١٠٢.

وقلبت همزة فى جمع رسالة: رسائل؛ لمجيئها بعد ألف زائدة، وهى مكسورة، فاستحالت الكسرة فى الألف فقلبت ياء من جنس الكسرة[1].

وقلبت الألف الزائدة لتمكين الاسم همزة فى اسم حروف الهجاء نحو: باء، تاء، ثاء ...، زيدت ألف أخرى بعد ألف "با" ليكون الاسم على ثلاثة أحرف ليتمكن من الاسمية، فاجتمعت ألفان فوجب قلب المتطرفة همزة[2].

والهمزة فى كساء ورداء بدل من الألف المبدلة من الواو والياء، وذلك أن الأصل: كيساو ورداى، فتحركت الواو والياء وقبلهما فتحة، وليست بينهما وبينها حاجز؛ لسكونها وزيادتها والواو والياء فى محل التغيير (الطرف) فقلبتا ألفاً، فاجتمع ساكنان، فوجب قلب المتطرفة بعد الزائدة همزة[3].

وقد تطورت الألف فصارت همزة فى غير القياس فى بعض كلام العرب، وقد قلبت الألف همزة فى بعض القراءات غير المشهورة، ومنها قراءة أيوب السختيانى[4]: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾[الفاتحة:٧] همز الألف فقال: الضألين، وذلك أنه حرك الألف فقلبت إلى الهمزة؛ لأنها أقرب الحروف إليها، وقرأ أبوعمرو بن عبيد[5]: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾[الرحمن:٣٩] همز الألف فى جأن.

وهذه القراءة وقعت على ما سمع من العرب نحو: شأبة، ودأبة، والعألم. وبعضهم يقول فى الوقف: حُبْلأ، فأبدل الهمزة من الألف التى هى عوض من التنوين فى الوقف[6]. وهذا لا يقاس عليه[7].

---

(1) الكتاب جـ٤/٣٥٦، ٣٥٧.

(2) التتمة ص١٢١.

(3) الممتع، ابن عصفور جـ١/٣٢٦، والتتمة ص١٢٢.

(4) سر صناعة الإعراب، والمحتسب جـ١/٤٧.

(5) المحتسب جـ١/٤٧.

(6) الكتاب، سيبويه جـ٢/٢٨٥.

(7) ذكر ابن جنى بعض شعر العرب الذى همزوا فيه الألف، فنقل عن العلماء فيه أنه ليس بقياس.

ونقل سيبويه عن الخليل أن بعض العرب يقول: رأيت رَجُلاً فيهمز؛ وهذه حبلأ، همز الألف لقربها من الهمزة، حيث أخرجها من مخرج الهمزة، وذكر سيبويه أنه سمعهم يقولون: هو يضربها، فهمزوا كل ألف فى الوقف؛ لأنهم يستخفون الهمز فى الوقف، ولا يهمزون فى الوصل، لأن الابتداء بصوت آخر يمنع الصوت (الألف) أن يبلغ تلك الغاية فى السمع[1].

والهمزة بدل من الألف وليست بدلاً من النون فى الوقف؛ لقرب ما بين الهمزة والألف وبعد ما بينها وبين النون، وشاهد ذلك أنهم يقولون: حبلأ فى حبلى وألف التأنيث المقصورة لا تنوّن البتة، ويرجع هذا إلى أن الألف نهاية مقطع مفتوح، فتنزل الهمزة منزلتها؛ لتغلق المقطع مثل قولهم فى "ما": مه، وهو: هوه، وكتابى: كتابيه.

وقلبت الألف واواً للضمة قبلها فى ضُوَيرب وزن فويعل، والأصل ضارب، وتصغير فاعل فويْعِل، وقلبت الألف واواً؛ لأن الضمة بعض الواو فلما ذكر المتكلم بعضاً منها صارت الألف إليها، لصعوبة مجىء الألف بعد ضمة مثلما استحال مجىء الألف بعد كسرة[2].

وحملت الألف على التصغير فى جمع فاعلة نحو: ضوارب، صواحب حملت الألف فيها على الألف فى التصغير؛ لأن حكمهما واحد فى الزيادة والنقصان.

وقد صارت الألف من جنس الحركة التى تسبقها إذا كانت زائدة ومن ذلك: المبنى للمجهول نحو: حُوسِب، قوتل.

وتقلب الألف واواً فى النسب نحو: عَصَوى، حُبْلَوِىّ، الواو بدل من الألف الزائدة فى حبلى[3].

وسمع عن بعض طيىء قلب الألف واواً يقولون: أفْعَوْ، والأصل: أفعى (بالألف) فقلبوها فى الوقف واواً؛ لأن الواو أبين فى السمع من الياء، ولأن الواو

---

(1) الكتاب جـ٤/١٧٦، ١٧٧.

(2) سر الصناعة جـ١/٣٠.

(3) التتمة فى التصريف ص١١٥.

تشبه الألف فى سَعَة المخرج والمد، ولأن الألف تبدل مكانها كما تبدل مكان الياء[1]، وهذا قليل جداً، ولا يقاس عليه.

وقلبت الألف ياء فى قراطيس وحماليق، قلبت الألف ياء لانكسار ما قبلها، والمفرد: قرطاس، حملاق، وللتصغير نحو: قُريطِيس، حُميليق، وتقلب الألف التى تطرقت بعد ياء ياء نحو: صحاريّ وصلافيّ (جمع صلفاء) تطرفت الألف بعد ياء ساكنة فقلبت ياء، وأدغمت فيها الياء الأولى[2].

وقلبت الألف المنقلبة عن همزة فى مصدر أفعل ياء لانكسار الهمزة قبلها نحو: آمن: إيمان، وآثر: إيثار. وتقلب ياء فى المثنى: حبليان، والجمع حبليات، ويطرد هذا فى كل ألف مزيدة آخر الكلمة.

وسمع قلب الألف ياء فى لهجة بعض العرب (فزارة وناس من قيس) قلبت الألف أخيرة ياء فى لهجة فزارة وبعض قيس، فيقولون: حبلى (بياء فى آخره)، وذلك فى الوصل وتخفى فى الوصل، وهذيل يدعونها فى الوصل على حالها فى الوقف فيقولون: " أفْعَىْ " بالياء فى الحالين[3].

ومثلها: عَصى، ومثلها: حبلى بالوقف على الياء، وبعض العرب يقولون: بكى، نجى، أتى وبنى بالياء[4]. وقد قلبوا الألف ياء؛ لأن الياء أبين فى السمع منها. وهذا قليل والمشهور الألف فى الوقف. وأبدلت الياء من الألف فى بعض كلام المتأخرين فى بعض الكلمات ومنها: خُبِّيز: خُبَّاز وخُبَّازى، حُمِّيض: حُمَّاض، نيب: ناب[5].

وأميلت الألف نحو الياء للكسرة التى بعدها بضرب من تجانس الصوت، فى لهجة بعض العرب، وقد أمالوها نحو الكسرة ليقربوها منها، فجعلوا الألف بين الألف

---

(1) الكتاب جـ٤/١٨١.

(2) التتمة ص١١٣.

(3) الكتاب جـ٤/١٨١، وشرح الشافية جـ٢/٢٨٦. وقد نسبت إلى طيىء أيضاً ونسبت إلى قيس وفزارة من قيس.

(4) اللهجات العربية، القسم الثانى ص٤٩٩، ٥٠٠.

(5) تثقيف اللسان ص٧٨، ٧٩.

والياء فى نحو: عابِد، وعالِم، ومساجد، ومفاتيح، وهابيل، الألف فيها تمال نحو اليـاء فتشبهها، فقربوها منها[1]، ولكنها لا تخلص ياء خالصة.

فتقريب الألف من الياء ضرب من التشاكل بين الأصوات، فالألف تمال نحو الياء إن سبقت بكسرة وإن لم تتصل بها مباشرة نحو: شِملال، سِربال، وتمـال إن جاءت الكسرة بعدها نحو: عالِم، عابد، أو أن تسبق بياء نحو: شـيبان، أو أن تكـون منقلبة عن ياء نحو: ناب، باع، سعى، بغى، أو أن تكون فى حكم المنقلبة عـن اليـاء نحو: حبلى، سكارى، ملهى، أو أن تمال الألف لوقوع الإمالة قبلها نحو: رأيت عمادا فى الوقف فتمال الألف الأخيرة لوقوع الإمالة قبلها فى ألف عماد.

وأميلت الألف ياء فى بعض الكلمات وليس بعـدها كـسرة فـى وسـط الكلمـة وآخرها، فالألف التى وقعت عيناً تمال فى نحو: خاف، وطاب، وهاب، وهذا قليل، والمشهور فى الإمالة فى الهدى، وكـسالى، وحبلـى، وصـغرى، وعيـسى، وموسـى، أميلت الألف نحو الياء فى الوقف[2].

وأميلت الحركات أيضاً فى نحو بناء فُعِل نحو: رُدّ، حُلَّ، نحا بالحركة نحو الكسرة. وهذا شائع فى مضعف العين واللام، وقد جاء الكسر فى بعض القـراءات ومنهـا: قراءة علقمة ويحيى: ﴿رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾[يوسف:٦٥] بكسر الراء، وسمع فيها الإشمام بالإمالة (الحركة بين الضمة والكسرة).

ومن ذلك: شُد، ورُدّ، ومُدَّ، الكسرة فيها داخلة على الضمة، وأقوى اللغات فى معتل العين الكسر نحو: قيل، وبيع، وغِيض[3]. أخلصت العين ياء لكسر ما قبلـها، فإن ضمت الفاء قلبت الألف واواً نحو: قُول، بُوع؛ لأن الألـف تتبـع الحـركة قبـلها.

---

(1) الكتاب جـ٤/١١٧، ١١٨، وقال سيبويه إن الحجاز لا يميلون، والإمالة تقع فى بعض بنى تمـيم، وغيـرهم من بنى أسد وقيس وعامة نجد، وتميم أشد العرب حرصاً على الإمالة.

(2) ارجع إلى اللهجات العربية ق٢/٢٧٧، ٢٧٨، والكتاب لسيبويه جـ٤/١٢٢، ١٢٣، والتتمة ص٢٦٣.

(3) المحتسب جـ١/٣٤٥، والإمالة فى القراءات واللهجات العربية، الدكتور عبد الفتاح شلبى، نهـضة مـصر، ط٢/١٣٩٣هـ ص٩٧.

وقد أميلت الفتحة نحو الكسرة طلباً لتجانس الصوت.

وتبدل الهاء من الألف فى الوقف على المقطع الطويل المفتوح نحو: هنه، والأصل: هنا، ومنه قول الشاعر[1]:

قد وردتْ من أمكنهْ من ها هنا ومن هنهْ

ومنه قول المستفهم فى الوقف: أنهْ ؟، والأصل: أنا، ومنه: مه، ومنه الوقف على المقطع المفتوح نحو: له، والأصل: لمْ، وهى متطورة عن لما.

وأغلق المقطع المفتوح فى بعض الكلمات الدخيلة فى بعض تعريب العرب بهاء السكت نحو: رومه، روسيه، انجلتره، فرنسه، بلجيكه، أمريكه، وبعضهم ينطقها على الأصل: روما، روسيا، انجلترا، بلجيكا، أمريكا.

ثالثاً- تطور الواو:

وتطورت الواو همزة وألفاً وياء وجوباً واطرد القياس فيها، وقلبت جوازاً وسماعاً ولم يطرد القياس فى المسموع، فالواو تقلب همزة وجوباً إذا اجتمعت مع واو أخرى أول الكلمة، فتقلب الأولى منهما همزة، لئلا تلتقى واوان أول الكلمة، ومن ذلك جمع واصل: وواصل: أواصل مثل قياساً على قائم: قوائم، وزن فواعل، والواو الثانية زائدة فى الجمع[2].

ومنه أوّل (وزن أفعل) ومؤنثه: فعلى وُوْلى: أوْلى، فأوّل فاؤه وعينه واوان على الأصح، وقيل أصله أول أو وأل، والأرجح وول، فقلبت الواو الأولى همزة أوْل ثم زادوا الهمزة فى أفعل فصار أأول فقلبت الهمزة الثانية واواً ثم أدغمت الواو الثانية أوّل[3]، وجمع أوّل: أوائل، والأصل: أواول، فقلبت الواو الثانية همزة، لوقوعها بعد

---

(1) الممتع لابن عصفور ص٤٠٠، وشرح ابن الحاجب جـ٢/٢٩٥، وسر صناعة الإعراب جـ١/١٦٣، وشرح الشافية جـ٣/٢٢٤، والمفصل لابن يعيش جـ٣/١٣٨، جـ١٠/٤٣، ولسان العرب: هنا. والضمير في " وردت " الإبل. والتتمة ص١٣٠، ١٣٢.

(2) شرح الشافية جـ٣/٧٤، وكتاب سيبويه جـ٤/٣٧١.

(3) شرح الشافية جـ٢/٢٠٢، ٣٤٠.

ألف أفاعل.

وقد ذكر ابن منظور اختلاف العلماء فى أصل أوائل، فبعضهم قال: أصله أواول بالهمزة أوله، من وأل فاكتنف الألف واوان فقلبوا الأخيرة همزة أوائل، ووقع فيه قلب، فتقدمت اللام على الهمزة فصار أوالى بتخفيف الهمزة ياء. وقيل أصله أَوْل (همزة فواو فلام) وقيل أصله وول (واوان بعدهما لام) ولكل رأى حجته.

وقيل أصل أوّل ووّل وزن فعَّل، فقلبت الواو الأولى همزة، وهو مصروف خلاف من قال أوّل وزن أفْعل[1]. والأرجح أن أفعل من وَوَل فهى من باب كوكب مما جاء فاؤه وعينه من جنس صوت واحد. وأواول قلبت الواو بعد الألف همزة مثل: أحسن: أحاسن

ومن ذلك أُوْى وزن فُعْل من وأيت، الأصل وُوْى فقلبت الواو الأولى همزة تخفيفاً قال الخليل: " لابد من الهمزة؛ لأنه لا يلتقى واوان فى أوّل الحرف "[2].

وقلبت الواو همزة فى نادر كلام العرب، وجاءت بها قراءة سعيد بن جبير: ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن إِعَاء أَخِيهِ[يوسف:٧٦] بقلب واو وعاء همزة[3]، والمشهور وعاء.

وقد قلبت الواو المكسورة همزة فى بعض كلام العرب ومن ذلك: إِسادة، وِجَاج (الستر)، والأصل: وسادة وِإجاج.

وهمزة وعاء بالضم أقيس من الهمزة المكسورة، قياساً على قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾[المرسلات:١١] والهمزة فيها قراءة الجماعة، وعليها يحسن: (أُعاء أخيه) بضم الهمزة، وقرأ أبو عمرو ووافقه اليزيدى: (وَإِذَا الرُّسُلُ وُقِّتَتْ) بالواو وهى على الأصل من الوقت.

وقد قيس على ذلك: أُجوه وأُعد، وأُجْنة (ما ارتفع من الخدين) والأصل: وجوه،

---

(1) لسان العرب: وأل جـ٩/١٩٥.

(2) الكتاب جـ٤/٣٣٣.

(3) سر الصناعة جـ١/١٠٠، وشرح الشافية جـ٣/٧٥، ٧٧، والمحتسب جـ١/٣٨١، والكتاب جـ٤/٣٣١.

وُعْد، وُجْنة.

وقلبت الواو المفتوحة همزة وثبت العمل بها واتفق عليها فى "أحد" فلم يسمع فيها وحد، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص:١] وأصل أحد: وحد، وتواتر ذلك عن العرب فى قولهم فى العدد أحد عشر، والله أحد، أى واحد(١).

ورأى ابن الأنبارى أن الأصل فيه وَاحد، فحذفوا الألف الزائدة من واحد، وأبدلوا الواو المفتوحة همزة، كما قالوا: امرأة أناة، والأصل فيها: وَناة؛ لأنها من وَنَى ينى، إذا فتر، قال نصيب(٢):

أناة كأنَّ الحقو منها بَرَبْوة تأزَّرها رِدْفُ من الرمْل مُسْهَلُ

والأصل: وَنَاة بمعنى رزان، وقد اشتهر العمل بأحد وأناة ونسى الأصل، يقولون: "فى التأنى السلامة". ومثل: أَجمَ، الأصل: وجم، ومثل: أبل: أصله وبل (فسد)، جاء فى الخبر: "كل مال زكى عنه ذهبت أبلته" أى فساده وثقله. رأى بعض العلماء أن الواو المفتوحة قلبت ألفاً فى أحد، أجم، وأبل(٣).

وقد عثرت فى بعض كتب اللغة على أرخّت الكتاب، من وَرَّخ، وأكَّد العهد: من وكد(٤).

وزاد محمد بن القاسم كلمة آلاء الله، قيل من ألّى، والأصل: ولى من أولاه الله معروفاً، فقلبت الواو الأولى فى "وولى" همزة، وذلك عند بناء فوعل منها، مثل: وَعَد: ووعد (وزن فوعل): أوعد، قلبت الواو الأولى همزة كراهية لاجتماع واوين(٥).

---

(1) ارجع إلى: إعراب ثلاثين سورة، ابن خالويه، دار المنار ص٢٢٩.

(2) المذكر والمؤنث، أبو البركات بن الأنبارى، حققه عبد الخالق عضيمة، وراجعه الدكتور رمضان عبد التواب، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤١٩هـ ١٩٩٩م، جـ٢/٢٦، ، الحِقْو: الكشح، وقيل: معقد الإزار.

(3) إعراب ثلاثين سورة، ابن خالويه، دار المنار ص٢٢٩.

(4) المحتسب جـ١/٣٤٨، والمبسوط فى القراءات العشر ص٤٥٦، وقد رأى بعض العلماء أن أحد، وأناة وأبل لا رابع لهما، وقد زدت على ذلك أرَّخ وأكَّد، وآخى.

(5) إعراب ثلاثين سورة، ابن خالويه، دار المنار ص٢٢٩.

وزاد أبو على الفارسى: وَجَمَ: أَجم، ووج: أَجّ (اسم واد بالطائف). وزاد غيره أسماء (اسم امرأة) قيل أصله: وسماء زنة فعلاء من الوسامة، كما قيل لها حسناء[1].

وقلب الواو فى فاء الكلمة نادر فى اللغة؛ لأن أسباب الإعلال التى تستوجب قلبها انتفت لعدم سبقها بالحركات أو أصوات تستوجب قلبها.

والواو تقلب فى عين الثلاثى همزة فى بناء اسم الفاعل نحو: قال يقول: قائل، والأصل: قاول، عال يعول: عائل، عاد يعود: عائد، ويطرد هذا فى كل موضع.

وتقلب الواو الساكنة فى حشو الكلمة همزة فى الجمع نحو: عجوز: عجائز، قلبت همزة لسكونها فى المفرد، وتوهموا ذلك فى مصائب، والقياس مصاوب، فالمفرد مُصيبة، وزن مُفْعِلَة، فالواو متحركة فى المفرد، فانتقلت حركتها (الكسرة) إلى الساكن قبلها فقلبت ياء فى المفرد، وقد توهموا أن مصيبة وزن فَعيلة مثل: صحيفة، وحق فعيلة أن تقلب الواو والياء فيها همزة فى الجمع مثل: صحيفة: صحائف، فإن كانت الواو والياء متحركتين بقيتا على الأصل، نحو: مصاوب ومعايش[2]، وهذا مطرد يقاس عليه.

وقد قلبت الواو همزة سماعاً عن بعض لهجات العرب النادرة، أنشد أبو على الفارسى قول جرير[3]:

أحب المؤقدين إلى مُؤسى وجعدة إذا أضاءهما الوقود

الشاهدان: مؤقد ومؤسى، والأصل: موقد وموسى، ومنه قولهم: السؤق، وأدؤر، والأصل: السوق وأدور جمع دار، وهذا مما لايقاس عليه[4].

وتطورت الواو ألفاً فى حشو الكلمة نحو: قال، عاد، خال، قلبت الواو ألفاً

---

(1) المحتسب جـ١/٣٤٨.

(2) ارجع إلى: الكتاب جـ٤/٣٥٦.

(3) الكتاب ٤/٣٥١، سر الصناعة جـ١/٩٠، والمحتسب جـ١/٤٧.

(4) المحتسب جـ١/٤٧.

لانفتاح ما قبلها، وقلبت ألفاً فى آخر الكلمة نحو: غزا، دعا، غدا.

وقلبت ألف فى ياجل من وجل فالواو فى فاء الكلمة وسبقتها فتحة فقلبت ألفاً فى الفتح، والمشهور فيها يوجل[1].

وتقلب الواو المتطرفة بعد ألف همزة، فكل واو أصلية فى لام الكلمة تقلب همزة بعد ألف زائدة نحو: دعا: دعاو: دعاء، وكسا: يكسو: كساء، وصحت الهمزة فى الخطاب المعاصر: الكساء الشعبى. ومثله الحِساء، والسماء.

وقلبت الواو همزة فى دماء، والأصل: دماو يقال: دموى ودموان. تطرفت الواو بعد ألف زائدة فقلبت همزة[2].

وتطورت الواو فى لام الكلمة فصارت ألفاً فى: علا: علوت، غدا: غدوت، رحا: رحوت (وورد فيها رحيت)، وزنا: زنوت (وورد فيها: زنيت)، دعا: دعوت.

وقلبت ألفاً فى حشو الكلمة نحو: قال، والأصل: قَـوَل وزن فَعَـل، قلبت ألفاً لتحركها بالفتح وفتح ما قبلها. وعاذ، والأصل: عَوِذ وزن فَعِل، أبدلت الكسرة فتحة ثم وقع القلب.

ومثلها الواو فى عين افتعل واستفعل، وما يشتق منهما نحو: اعتاد، استجار واستنار واستشار، وهذا مطرد فى كل موضع.

وقد تطورت الواو ياء فى بعض المواضع وفيها قانون مطرد، فالواو تقلب ياء إذا كانت ساكنة قبل ياء متطرفة نحو: لوى: لية، طوى: طيَّة، والأصل: لوْيَة، طوْية.

وتقلب الواو ياء فى بناء فيْعَل نحو: ميِّت، سيِّد، والأصل: ميْوِت، سيْوِد. ومثلها: قيّم، والأصل قيوم. وحيَّى: فيعَل من حويت[3]. قلبت الواو ياء لقوة الياء، وليكون البناء من وجه واحد، والياء أخف من الواو فى الأداء فهربوا إلى الأخف.

---

(1) الكتاب جـ٤/٢٣٨، وسر الصناعة جـ١/١٤٠.

(2) شرح الشافية جـ٣/٧٥، والتتمة فى التصريف ص١٢٢.

(3) شرح الشافية جـ٣/٩٣، أصل حيَّى: حيوى كدحرج، قلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، وقلبت الواو ياء لاجتماعها مع الياء وسبق إحداهما بالسكون، ثم أدغمت الياء فى الياء، فصار حيَّى.

وقلبت الواو ياء لمجيء الكسرة قبلها فى: ميعاد، مِيزان، ميقات، لأن الكسرة أخف من الضمة، ولمجيء الواو ساكنة بعد الكسرة؛ فيسر ذلك من قبلها ياء.

والمد والقصر نحو: مِينَاء ومِينى (مَرْفأ السفن). وأصلها: مِوْنَى وزن مِفْعَل، فقلبت الواو الساكنة ياء لمجيئها بعد كسرة، ومثلها: المِيْسَم (أثر الحُسْن) من وسم "تنكح المرأة ليسمها" من الحسن. ومثلها: الميعاد (من وعد).

واختلف العلماء فى سبب قلب الواو ياء فى قِيل، والأصل فى المجهول أن يضم أوله ضرب. وبعض العرب يقول: قُول وبُوع فى المجهول، فحملوا الياء فى بوع على الواو فى قول، ومن قال بِيع، استوجب كسر ما قبلها لتمكين مد الياء، ثم حملت الواو فى قول عليها، فكسر ما قبلها ثم قلبت الواو ياء لمناسبة الكسرة، وقيل استثقلت الكسرة فى قُوِل، وبِيع، فنقلت إلى ما قبلها؛ لأن الكسرة أخف من الضمة، فقلبت الواو ياء، مثل ميزان وميعاد [(١)].

وقلبت الواو فى الدنيا والعليا والقُصْيا ياء طلباً للخفة، وهى من دنوت، وعلوت، وقصوت، فأصل الألف فى دنا، وعلا، وقصا واو[(٢)]. ودنيا وعليا وقُصْيا وزن فُعْلى، فالألف الأخيرة ألف التأنيث المقصورة، الواو لام الكلمة، فقلبت ياء لمجيء ألف التأنيث المقصورة بعدها[(٣)].

والواو فى حيوان قيل أصلها ياء، فالواو بدل من ياء عند سيبويه، أبدلت منها لتوالى الياءين، وأبدلت من الثانية لكراهة توالى الأمثال.

ورأى المازنى أن واو حيوان أصل وليست حييت دليلاً على كون الثانية ياء، فالياء فى سقيت ورضيت ليست أصلاً بل قلبت الواو فيها ياء لانكسار ما قبلها، وقد رأى سيبويه أن الياء أصل لعدم النظير[(٤)].

---

(1) ارجع إلى: شرح الكافية جـ٢/٢٥١.

(2) سر الصناعة جـ١/٨٩.

(3) الكتاب جـ٤/٢٢٩.

(4) شرح الشافية جـ٣/٧٣.

ومن ذلك تصغير هَنَة: هُنَيْهة، والأصل: هُنَيْوَة، ثم قلبت الواو ياء- كما قلبت فى عُرَّية- تصغير عُروة، ثم قلبت الياء المقلوبة عن واو هاء، فصارت هنيهة[1]. أينق من أنوق جمع ناقة فوقع قلب أَوْنق، فقلبت الواو ياء: أينق، فوقع فيها إعلال بالقلب والإبدال[2]، وقلبت ياء فى: ييجل من وجل وقلبت ياء فى اسم الفاعل من غازٍ، داعٍ، غادٍ[3]. وقلبت ياء فى المصدر من حال: حيالاً، قام: قياماً، قلبت؛ لأنها معتلة فى الفعل حال (أصلها: حول).وجمع سوط: سياط. وثوب: ثياب، روضة: رياض، فقلبت لسكونها فى المفرد، مثلما قلبت فى قولهم: ييجل من يَوْجل، وهذا ليس مطرداً، فقد سمع ما يخالفه نحو: زوج: زوَجَة، ثور: ثوَرَة، قيل لم تعل لمجيء الكسرة قبلها.

وقلبت الواو المُضعَّفة ياء، وهو ما يعرف بقانون المخالفة الصوتية للتخلص من التضعيف، نحو: ديوان من دوّان. اجلوّاذ (الإسراع): اجليواذ[4]. وهذا قليل لا يقاس عليه.

وتطورت الواو فى آخر الكلمات فصارت ألفاً وياء، ومن ذلك قول العرب: "أتيتك من علاَ"، قلبت ألفاً لتطرفها وانفتاح ما قبلها، والأصل "علو" قال غيلان بن الحارث[5]:

فهى تنوش الحوض نوشاً من علا نوشاً به تقطع أجواز الفلا

وصارت ياء فى قول امرئ القيس[6]:

مكَرٍّ مفَرٍّ مُقْبلٍ مدبرٍ معاً كجلمود صخر حطه السيل من عَلِ

---

(1) سر صناعة الإعراب جـ٢/٥٦٠، والممتع لابن عصفور ٤٠٠.

(2) الخصائص جـ٢/٨٢، ٨٣.

(3) الكتاب جـ٤/٢٣٩.

(4) شرح الشافية جـ٣/٨٥، وسوف نتناول ذلك فى المماثلة الصوتية والمخالفة.

(5) الكتاب لسيبويه، ٣/٤٥٢، واللسان: مادة نوش. والإبدال والمعاقبة والنظائر للزجاجى ص٤٦. وناش: طلب، وأجواز مفردها: جوز: وسط، ومعبر.

(6) شرح المعلقات السبع، للزوزنى ص٣٠.

ومثلها الواو فى الحمْو صارت ألفاً وياء فى كلام العرب: الحمَا، والحمِى[1]، جعلها من يفتحون ألفاً وصارت ياءً فى لسان من يكسرون آخر الكلمة، وهى فى لسان شمال مصر بالألف لميله إلى الفتح.

وأبدلت الياء من الواو فى قول العامة فى جمع منارة: منايِر، والأصل: مناور. ويقولون: جِيعان، والأصل: جوعان، ويقولون: أرياح (جمع ريح)، والمشهور فيها: رياح، وأرياح. وقد تجمع على أرواح؛ لأن أصلها الواو.

ورجح ابن مكى أرواح، واستدل بقول الشاعر حميد بن ثور الهلالى[2]:

تلوم ولو كان ابنها قنعت به ... إذا هبْ أرواح الشتاء الزُّعازِع

والياء فى رياح مبدلة من الواو، وكذلك فى ريح، وقد قلبت الواو فيهما ياء لانكسار ما قبلها، كما حدث فى ميزان وميقات، ويقولون مات موتة، والصحيح ميتة مصدر الهيئة على وزن فِعلة قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها.

ويقولون فلان أصيت من فلان أى أشد صوتاً، والأصل: أصوت، بالواو[3]، والعامة تقول: صَيِّت، والأصل: صَويت وزن فعيل قلبت الواو ياء ثم أدغمت فى الياء، وصَيِّت أى: شديد الصوت.

وصحت الواو ولم تعل فى بعض الكلمات، وسمع ذلك عن العرب وهذا قليل، فقد وقع الأصل فى بعض الكلمات النادرة نحو: استحوذ: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾[المجادلة:١٩] استحوذ من الحوذ والقياس استحاذ مثل: استقال، واستروح، واستنوق، والقياس: استناق، وأجود: والقياس أجاد (أحسن)، وأطول (أطال)، واستروح (شم الريح): استراح. والعامة تقول: استعوق بمعنى استأخر أى منعه مانع فتأخر، واستذوق، من الذوق. واستعور بمعنى أعور.

---

(1) الإبدال ص٤٩.

(2) تثقيف اللسان ص٩٧، ٩٨، ولحن العامة للزبيدى ص٢٥، ٢٦، الزعاع: الريح الشديدة.

(3) تثقيف اللسان ص٩٨.

والعمل بالأصل صح عن بعض تميم يقولون: مديون، معيود، مقيود، معيون، مبيوع، وجاز ذلك للدلالة على التحول والصيرورة نحو: أجود، صار ذا جواد، وأغول: توحش[1]، وهذا قليل فى اللغة، ومخالف للمشهور الذى يطرد فيه قلب الواو ألفاً بعد نقل حركتها إلى الساكن قبلها فى وزن استفْعَل نحو: استعاد، والأصل: استعْوَد، ومثله بناء افتعل، تقلب الواو المتحركة بالفتح فيه ألفاً، وهذا يطرد فى كل نظير. ولا يدخل فى ذلك الوصف بأفعل نحو: أسود، أهوج، أعوج؛ لأنه شبيه بأفعل التفضيل ويحمل عليه فى عدم التصرف، ولمشابهته له فى المعنى، وحمل عليه أقْوَم، استقوم، وجاء الأصل فيه: أجودتُ، وأطولتُ.

وجاء الأصل فى بناء افتعل نحو: اجتوروا، وتجاوروا، واعتوروا القوم الشىء وتعوروه وتعاوروه: تداولوه بينهم. واعتونوا بمعنى تعاونوا، واختونوا بمعنى اختانوا، واشتوروا بمعنى تشاوروا، والاعتلال هو الكثير المطرد.

ولم يعل اسْوَدَّ، واعورَّ؛ لأنه لا ثلاثى لهما يعل ههنا، وإعلال الواو يتطلب نقل حركتها إلى الساكن قبلها، فيلتقى ساكنان الألف والحرف الأول من المضعفين، فيفسد البناء، وهذا ممتنع[2].

والصوت المضعف يقوى فى موضعه فلا يحذف ولا يقلب وتظهر فيه حركات الإعراب نحو قولهم: اجلوَّذ (ذهب) ومصدره: اجلوّاذ. صحت الواو دون قلب؛ لأنها لما أدغمت فيما بعدها قويت ولم تقلب، واخروّطَ (ركب رأسه): اخروَّاط، صحت الواو؛ لأنها مضعفة فضارعت الأصوات الصحاح، فصحت فى موضعها مع فتح ما قبلها فى الفعل، وكسر ما قبلها فى المصدر، وحقها أن تقلب ألفاً إن فتح ما قبلها، وأن تقلب ياءً إن كسر ما قبها؛ لأن الإدغام قد حصنها عن القلب[3].

---

(1) الكتاب جـ٤/٣٤٦.

(2) شرح الشافية جـ٣/٩٩، والكتاب جـ٤/٣٤٧.

(3) سر الصناعة جـ١/٣٠، اجلوَّذ الليل: ذهب، اجلوذّ بهم السير دام مع السرعة فيه، شرح الشافية جـ١/٥٥، ١١٨.

وحق الواو أن تقلب ألفاً إن تحركت بالفتح وفتح ما قبلها، نحو: قَوَل: قال، وتقلب أيضاً إن سكن ما قبلها وتحركت بالفتح نحو: إقوال (مصدر أقال): إقاال ثم إقالة (حذفت إحدى الألفين وعوض عنها بتاء العوض عن المحذوف)، وقد انتقلت حركة الواو إلى الساكن قبلها فبقيت ساكنة بعد فتحة فقلبت ألفاً، فالتقت ألفان فحذفت إحداهما لسكونهما.

وليس هذا القلب مطرداً فى كل موضع، فقد تصح الواو المتحركة وقبلها ساكن، فوزن أفعل الأجوف الواوى لا تقلب واوه.

وقد سلمت الواو من القلب، وهى ساكنة بعد فتحة فى سَوْط، حَوْض، ثَوْب، ذلك أنها لم تجاور الألف فى نحو: إقالة، فلم تقو الفتحة لخفتها، وقوة الواو ولكنها قلبت ألفاً فى قَوَل؛ لأنها مفتوحة وسبقت بفتحة، فقويت الفتحتان فقلبت الواو صوتاً من جنس الفتحة، ودل صحة هذا الرأى أنها لم تقلب ألفاً فى عِوَض، حِوَل.

غير أن الواو المكسورة تفتح وتقلب ألفاً لتجانس الحركتين المتجانستين، ومن ذلك خاف أصلها: خَوِف وزن فَعِل، قلبت الكسرة فيها فتحة، فقلبت الواو ألفاً لتحركها بالفتح ومجيئها بعد فتحة[1].

وقلبت الواو المضمومة ألفاً لتجانس الفتحتين فى الماضى من طالَ، أصلها: طَوُلَ وزن فَعُل اللازم. والكسرة فى الواو فيها ثقل بعد فتح وكذلك الضمة فيها، فقلبت تيسيراً فتحة لتجانس الفتحة قبلها، ولكنها لم تقلب فى عِوَض وحِوَل؛ لئلا تدخل فى لفظ غيرها، والواو إن قلبت فيها ياء ثقلت؛ فلا تقول: عِيَض وحِيَل لصعوبتها، ودخول الأخيرة فى معنى آخر.

ولا يعل مثل النزوان والغليان للزوم الألف والنون، فصارت اللام فى حشو الكلمة، فلم تقلب ألفاً لعدم تطرفها قياساً على الجوَلان والطيران.

ولا يعتد بالحرف غير اللازم فى الكلمة، ومن ثم أعلت اللام فى غُزَاة وتقاة،

(1) كتاب سيبويه جـ٤/٣٦١.

لعدم لزوم التاء، وقلبت بعد الألف الزائدة إن كانت متطرفة نحو: كساء ودعاء.

وتلزم الواو فى الجمع الذى تلاه ألف زائدة فى منتهى الجموع نحو: واو بوائع وزن فواعل، فالواو زائدة للدلالة على منتهى الجموع وقلبها يذهب بوظيفتها.

وقلبت الواو همزة فى عجائز، والأصل عجاوِز للفرق بين الزائد والأصلى، فالأصل عجز، ولا تعل الواو الأصلية فى نحو: مقامَة: مقاوِم من قوم.

وإن كانت زائدة للإلحاق لا تعل نحو: جدول وزن فوْعَل فلا تعل فى الجمع جداول، ولم تعل الواو والياء فى طواويس جمع طاووس لبعدها من الطرف[1].

ومنعت الواو فى حُوَّل وزن فُعَّل وعُوَّار وزن فُعَّال؛ لأنها مضعفة، والملحِق: فعْوَل نحو: جدول، لم تقلب؛ لأنها متحركة فى المفرد والجمع جداول.

ولم تقلب واو فَعُول نحو: قوول وبيوع؛ لأنها زيدت لبناء الجمع، ومثله بناء فُعُول نحو: شيوخ، وحُوُل، وسووق.

ولم تقلب فى نوَاز وجواب، لمجىء الألف بعدها، قياساً على ما كانت عينه ياء نحو: قيام.

ولم تعل فى فعيل نحو: طويل، وقويم، وسَويق، ليقع فيها الكسر قبل الياء. ومِفْعَل نحو: مِقْوَل، ووزن فُعَال نحو: طُوَال وفِعَال: خِوان. وطاووس وناووس وسايور وزن فاعول[2] ومثله: السُّيُرة (كثير السير).

ولم تهمز واو مَقَاول؛ لأنها ليست بالاسم على الفعل فتعتل عليه، فهو جمع مَقَالة والواو فى الأصل متحركة، فجمعت على الأصل فمقالة وزن مفْعَلة، فانتقلت الفتحة إلى الساكن قبلها فقلبت ألفاً[3].

وحذفت الواو لضعفها فى بعض المواضع، ومنها: يعد ويلد، والأصل: يَوْعِد ويَوْلِد، فحذفت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة، ووقع الأصل فى بعض الكلمات

---

(1) شرح الشافية جـ٣/١٠١، ١٠٢.

(2) الكتاب جـ٤/٣٥٤، ٣٥٥.

(3) نفسه جـ٤/٣٥٥.

مثل: يَوْجَل ويوْحل، وبعضهم قال فى الفتح ياجل وياحل[1]. ويقولون: وَدُع (سكن واستقر ولان) يودع، والمصدر دَعه. وَطؤ: يوطؤ، وطأة (سهل ولان).

والأصل أن تحذف الواو فى المضارع لاستثقال وقوعها بين ياء مفتوحة وضمة، ولم تحذف فى ودع فى فَعُل للدلالة على الطبع، والحذف لا يدخل فى تطور الصوت؛ لأنه انتفاء للصوت من النطق بيد أن الحذف يدخل فى تطور الأبنية.

وقلبت الواو صوتاً صحيحاً، ليقوى فى موضعه، فقد قلبت تاء فى بناء افتعل ومصدره افتعال، والتاء صوت لثوى أسنانى شديد مهموس والواو صوت شفتانى مجهور، وقد وقع تطور فى وزن افتعل فيما كانت فاؤه واواً أوياء أصليتين، فبعض العرب قلبوا الواو والياء تاء من جنس تاء افتعل، ثم أدغموا التاء الأولى فى الثانية فى جميع المشتقات من افتعل نحو: اتصل (أصلها اوتصل)، يتصل: اتصال، متَّصل. ونحو: اتسر (أصلها ايتسر): يتَّسر: اتَّسار، ومتَّسر، وقد قلبت الواو تاء لتجانس التاء فى افتعل؛ فجذبت التاء الواو إليها فصارت تاء، والواو صوت شفوى والتاء صوت لثوى أسنانى، وقد قلبت الياء تاء وهى صوت غارى فى اتبس (ايتبس) واتسر (ايتسر).

وبعض العرب يقولون: اوتصل، اوتصال، وايتسر وايتسار، وهو الأصل، والشائع الأول الذى انتهى إليه البناء[2]، ونحو: وعد: اوتعد، ثم استقر فى الكلام "اتعد"، وقد أدغمت التاء المقلوبة عن واو فى تاء افتعل[3]. وقد أبدلت تاء؛ لئلا تتغير بتغير حركة الحرف الذى يسبقها فيقال مثلاً: أُوتعد، وإيتعد، يَاتعد، فقلبت تاء لتستقر على حالة واحدة، وبعض العرب يجريها على الحركة فيقولون: ايتعد، ويوتعد، وياتعد، والأقيس أن تقلب تاء، وبه لغة أهل الحجاز التى نزل القرآن الكريم بها[4].

---

(1) شرح الشافية جـ٣/٩٢.

(2) شرح شافية ابن الحاجب جـ٣/٨٠.

(3) التتمة ص١٢٥، والكتاب جـ٤/٣٣٤.

(4) سر الصناعة جـ١/١٤٨، وشرح الملوكىص٢٩٤.

ونحو: اتكل من وكل، والعامة تقول: تكل واتكل، والأصل: اوتكل، ثم قلبت الواو تاء وأدغمت فى التاء بعدها، فصارت: اتكل مثل اتحد من اوتحد واتجه من اوتجه. تجاه من وُجاه. ويقول: تُكَال، والأصل: اتكل: اتكال، ويقولون فى المبالغة من وكل: تَكَّال وزن فعَّال والأصل: وكّال.

ومثله: أوكأ: أتكأ وزن أفعل، يقال: أتكأه: أعد له متكأ، والأصل: موتكأ وزن مفتعل من وكأ، وجاء عن بعض العرب: أوكأه، ويجوز العمل به؛ لأنه الأصل[1].

وإذا التقت واوان أبدلت الأولى تاء فى بعض الكلمات ومنها تولج من وولج وزن فوْعل، أولج فقيل: من الولوج. يقال أتلجه: أدخله، وليست تولج وزن تفعل فليس اسم منها على وزن تفعل، والمشهور أنها وزن فوعل، وأوكأ: أتكأ، يقال: أتكأه: أعد له متكأ وذاعت لفظة "متكأ" ويجوز ترك الإبدال إلى الأصل: أولجه وأوكأه[2].

ومثلها: التقوى، قيل: أصلها: الوقوى. وزن فعلى من وقيت، واتقى وزن افتعل، والأصل: اوتقى، قلبت الواو تاء لتجانس تاء افتعل ثم أدغمت فيها واشتهرت فى الخطاب، والاشتقاق منها؛ لشهرتها، وترك أصلها، ويطرد العمل بذلك فيما كانت فاؤه أو عينه واواً أوياء، عندما تجاور التاء.

وهذا التطور قديم فى العربية، قال الأعشى[3]:

فإن تتَّعِدْنى أتعدك بمثلـــها وسوف أزيدُ الباقياتِ القوارصا

الأصل: توتعدنى، أوتعدك، والأعشى من قبيلة قيس، وينتهى نسبه إلى بكر بن وائل. وقال طرفة[4]:

---

(1) الكتاب جـ٤/٣٣٢.

(2) سر الصناعة جـ١/١٤٦، والتتمة ص ١٢٧، ولسان العرب: ولج، ومادة: وكأ، والكتاب جـ٤/٣٣٢، ٣٣٣.

(3) ديوان الأعشى ص٢٠١، وسر صناعة الإعراب جـ١/١٣٩، والباقيات: يريد قصائد يقولها فى الناس.

(4) ديوان طرفة ص١٦١، وسر الصناعة ١/١٣٩.

فإن القوافى يتَّلجِن مَوَالَجاً تَضايقُ عنها أن تولَّجها الإبَر

والأصل: يوتَلجن، من ولج، وطرفة من بكر بن وائل أيضاً، وهذا القلب ليس لضرورة؛ لصحة الوزن على الأصل توتعد، ويوتلج.

وسُئل الأحنف بن قيس: أى المجالس أطيب؟ فقال: "ماسافر فيه البصر، واتَّدع فيه البدن"[1]. وقد قلبت تاء؛ لأنها إن لم تقلب تاء فسوف تقلب إلى صوت من جنس حركتها، فتكون واواً للضمة قبلها، مُوتَعد، وموتزن، ومُوْتلج، وتكون ألفاً للفتحة قبلها: يَاتعد، وياتزن، وياتلج، وتكون ياء للياء قبلها: ايتعد، وايتزن، وايتلج، وهذا فيه مشقة فقلبت الفاء إلى صوت جلد لا يتأثر بغيره، فجىء بالتاء لتشاكل تاء افتعل، فيقف المتكلم وقفة واحدة عليهما مدغمتين، والتاء لثوية أسنانية، فهى قريبة من مخرج الواو (الشفتين)، ومخرج الياء (الغار)[2].

وبعض العرب يعملون الأصل دون القلب، وقد نسب العمل بالأصل إلى الحجاز، فهم يفرون من التضعيف إلى فك التضعيف، وقد ذكر بعض العلماء أن لهجة الإمام الشافعى كانت على الأصل، وهو من أصل حجازى (قريش)، ونشأ فى قبائلها (هذيل) قال فى باب "العلل فى الأحاديث"؛ يقول فى أنواعها: "وأخرى موتفقة" يريد: متفقة.

ويقول فى البيان الثالث: "وتختلف سننه وتاتفق" يريد: وتتفق، وأصلها: توتفق، فقلب الواو ألفاً لتحركها بالفتح، ويقول فى باب "الحجة فى تثبيت خبر الواحد": "ولا نستطيع أن نزعم أن الحجة تثبت به ثبوتها بالموتصل"، وقال فى باب القياس: "ايتفق المقايسون فى أكثره"[3].

---

(1) الكامل جـ١/١٠٢، والأحنف من تميم.

(2) سر صناعة الإعراب جـ١/١٣٩.

(3) نقله صاحب اللهجات العربية جـ١/٣٠٨ عن مخطوط الرسالة ص١٢، ١٨، ٣١، ٢١١، ٤٦٤، ٤٧٩. ولد الشافعى بغزة ونشأ فى الحجاز.

وروى الكسائى عن بعض العرب: "الطريق ياتسق وياتسع" أى: يتسق ويتسع[1].

وقد رجح كثير من العلماء أن العمل بالأصل من لغة أهل الحجاز. قال السيرافى: "وبعض العرب من أهل الحجاز يلزم فى افتعل الأصل ولا يقلب الواو تاء"[2]. وقد قلبت الواو المفتوحة فيها ألفاً: ياتسق، والواو المكسورة قلبت ياء ايتسق[3].

وقلبت الواو تاء فيما سمع عن العرب ولم يطرد فيه قياس، فقد قلبت الواو تاء فى بنت أصلها "بنو" فالتاء بدل من الواو وليست للتأنيث لسكون ما قبلها، والتأنيث مستفاد من الصيغة "فُعْل"، وأصلها فَعَل[4]، ومثلها: أخت، التاء بدل من الواو، وليست التاء فيها للتأنيث، ومثلها التاء فى: "هنت"، أصلها: هنو، ومثلها: "كِلتا" التاء بدل من الواو، ومثلها: أسنتو، التاء فيها بدل من الواو، وقيل بدل من الياء فى أسنيو، والياء بدل من الواو، وقيل بدل من الهاء، والأصل: سنه، سنهت النخلة: أتى عليها سنون، وأسنتوا بمعنى أجدبوا، أصل التاء واو، فجمع سنة: سنون، وإبدالها من الواو أكثر، والحمل على الأكثر أولى[5].

أبدلت الميم من الواو إبدالاً غير مطرد فى: فم، والأصل: فوْه، وزن سوْط، فحذفت الهاء تخفيفاً كما حذفت من "سنة" فصار اللفظ "فوه" فلما بقى اللفظ على حرفين الثانى منهما حرف لين، فامتنع حذفه للتنوين لئلا يجحف اللفظ فيبقى على حرف واحد فيشبه الحرف، فحلت الميم محل الواو؛ لأنهما من مخرج واحد (الشفتين)، وهما مجهوران ولا يحتبس فيهما الهواء[6].

وأبدلت النون من الواو ومنه قولهم فى النسب إلى صنعاء: صنعانى، والأصل:

---

(1) سر الصناعة ١/١٤٠.

(2) مخطوط كتاب: شرح السيرافى على سيبويه جـ٥/٥٥٦، ٥٥٧ المكتبة التيمورية.

(3) ارجع إلى: الجاسوس على القاموس، فارس الشدياق، ص٥٣٥.

(4) سر الصناعة جـ١/١٤٩، ١٥٠، والتتمة ص١٢٦.

(5) التتمة ص١٢٨، واللسان: سنه، وسنا. والتبصرة والتذكرة، لأبى محمد الصيمرى، تحقيق الدكتور فتحى أحمد على الدين، مركز البحث العلمى، جامعة أم القرى. مكة ط١/١٤٠٢هـ. دار الفكر، دمشق ص٨٥٠.

(6) سر صناعة الإعراب جـ١/٤١٣. والتتمة ص١٣٤.

صنعاوى، وفى النسب إلى بهراء (اسم قبيلة): بَهْرانى، والأصل: بهراوِى.

وقلب الواو نوناً فى النسب شاذ، فالقياس فى النسب أن تقلب همزة التأنيث واواً نحو: حمراء: حمراوى.

وقيل النون فى صنعانى، وبهرانى بدل من الهمزة، والأكثرون على القول الأول[1].

وأبلت الهاء من الواو فى قولهم: ياهَنَاهُ، وهو (فَعَال) من الهنو: الفرح، والأصل: "هَنَاو" فأبدلت الواو هاء، فقالوا: هناه[2].

وقد تعرضت أبنية كثيرة من الألفاظ للتغير بعد أن دخلت التركية متأثرة بالتركية ثم دخلت منها إلى العربية بعد أن حرفت عن الأصل العربى، وهذا التحريف أصاب بعض أصواتها، ومن ذلك: مرفت، والأصل: مَرْوة، تأثرت الواو بالنطق التركى "فاو" فصارت "V" فى أداء الكلمة، والتزمت تاء التأنيث اللفظ وصلاً ووقفاً، فصارت مرفت، ودخلت العربية بعد تتريكها، ومثلها: تفيدة، والأصل: توحيدة، فقلبت الواو صوت "V" ثم نطقت فى العربية فاء، ومن ذلك: "فلد"، والأصل: ولد.

رابعاً- تطور الياء :

صوت غارى، مجهور، مرقق، وقد تطورت تطوراً مطرداً وسماعاً فى نادر كلام العرب، والياء فى أول الكلمة لا تقلب قياساً لخفتها متحركة، فالياء أخف من الواو، فلم يقلبها العرب فى نحو: ييئس، وييبس، ولم يحذفوها فى موضع الفاء كما حذفوا الواو فى يعد، ولم تحذف فى فواعل فى نحو: يوابس[3].

وقلبت الياء فى أول الكلمة همزة على غير القياس فى يد؛ فى خطاب العامة: إِد، وإيد، بقلب الياء همزة ثم مدوا حركتها (الكسرة)، وقالوا فى الجمع: إدين، وإيدين، وإيد تحريف أدى (يدى).

---

(1) الممتع لابن عصفور ٣٩٥، التتمة فى التصريف ص١٣٢.

(2) سر الصناعة جـ٢/٥٦١، والممتع ص٤٠١، وشرح الشافية جـ٣/٢٢٥.

(3) الكتاب جـ٤/٣٣٨.

وجاء فى كلام العرب: "قطع الله أَدْيَهُ"[1] فردوا اللام المحذوفة من الكلمة (الياء)، وأبدلوا الفاء همزة، والأصل: يدى، والجمع أيدٍ، وأيادٍ. ومثلها: يلل (عوج فى الأسنان نحو باطن الفم)، أبدلوا الياء فيها همزة: ألل، قالوا: "فى أسنانه ألل"، ورِئْبال (الليث) أصله: ريبال، فأبدلوا الهمزة من الياء، ومثلها: الشِّئْمة: الشيمة (الخليقة)، وهذا قليل فى اللغة.

وقد يحمل الصوت الأصلى على الزائد فيقلب مثله قياساً عليه ومن ذلك لام تحيَّة يقال فيها تحوى، فى النسب فقلبت لامها واواً لمجىء ياء النسب المضعفة بعدها.

ويجوز تثنية ما همزته أصلية نحو: قُرَّاء ووُضاء: قرّاوان ووُضاوان تشبيهاً لها بالزائدة: حمراوان، وخضراوان، والقياس ألا تقلب الهمزة الأصلية ابتداءان، فالقياس فيها: قراءان، ووُضاءان[2].

ويجوز أن يحمل حرف الإلحاق على الأصلى، فلا يقلب نحو: عِلْبَاء (عصب فى عنق البعير): علباءان، ونحو: حرباء: حرباءان، لم تقلب الهمزة حملاً على الهمزة الأصلية ابتداءان، وأجاز بعض الكوفيين على هذا: حمراءان، وخضراءان حملاً على الهمزة الأصلية، والهمزة فى الإلحاق زائدة؛ وكذلك فى التأنيث، والأصل فى ذلك العمل بالمشهور.

والعامة تفر من الهمزة إلى الواو أو الياء تخفيفاً فى الأصلى والزائد، يقولون: منشاوى، والقياس منشائى، ورفاوى: والقياس: رفائى، وسماوى ويجوز: سمائى وسماوى، لكنهم آثروا الواو تخفيفاً.

وقد صح صوت الهمزة فى بعض الكلمات الفصيحة فى الخطاب اليومى مثل: غنائى، وقضائى، ورجائى، وفدائى، وعدائى، والنسب إلى: راية، ونهاية، وسقاية: رائى، ونهائى، وسقائى[3].

---

(1) سر الصناعة جـ١/٩٢.

(2) الأشباه والنظائر جـ١/٣٨.

(3) التتمة ص١٢٢، القياس أن لا تقلب الهمزة الأصلية فى النسب، ويجوز الهمز والواو إن لم تكن أصلاً.

وتبدل الهمزة من الياء على غير قياس مطرد أولاً وحشواً وآخراً نحو: قطع الله أديه، والأصل: يديه، والعامة تقول: أدين، ونحو: فى أسنانه أَلَل، والأصل: يلل (قصر فى الأسنان) ونحو: الشئمة، والأصل: الشيمة (الخليقة) وجمعها: شيم.

ويقال: رمح يزنى: أزنى (منسوب إلى ذى يزن)[1]. ويلَمْلَم وألملم (اسم جبل). ويثرب وأثرب، وأثربى. ويسروع وأسروع (اسم دويبة).

وقد تطورت الياء فى بعض الأفعال ألفاً نحو: طوى: طويت، لوى: لويت، حوى: حويت، شوى: شويت، روى: رويت، نوى: نويت، خوى: خويت، ذوى: ذويت.

وتبقى ألفاً فى أفعل نحو: ألْوى، أحوى، أغوى، أقوى. وقلبت الياء ألفاً فى جمع دواية وسقاية: دوايا، وسقايا.

والقوَّة: الأصل فيها: القوى، فقلبت الياء الأخيرة (قويت) واواً ، ثم أدغمت الواو الأولى فيها، وهذا جائز فى السماء. ومثلها: حُوَّة من حويت، خرجت من الفعلية التى كانت عليها للاسمية التى صار إليها، فعدل عن الأصل للاسمية[2].

والنسب إلى طيىء: طائى على غير قياس، وطيىء (اسم قبيلة) وزن فيعل، أصله طاء (طوء) الهمزة فيه أصلية، والنسب إليه طائى (قياسى)[3] وقيل الأصل: طاء وواو، فقلبوا الواو ياء ثقيلة فالأصل: طوى.

وذهب ابن جنى إلى أنه من طاء يطوء: ذهب، وجاء، وليس أصله من الطوى، بل طيوئ، فقلبت كسيد (سيود) وميت (ميوت). والنسب إليه طائى، والقياس فيه طيِّئى، كطيِّعى، فحذفت العين تخفيفاً، فبقى طيئى، وأبدلت الياء ألفاً استحساناً لا وجوباً عن قوة العلة فى "طيئى" فصارت طائى، ومثلها: الحيرة: حارى، والأصل: حيرى، فقلبت الياء ألفاً استحساناً، ورد قول من قال إنها من طوى[4].

---

(1) ارجع إلى: الإبدال، لأبى يوسف يعقوب بن السكيت، الهيئة العامة للمطابع الأميرية ص١٣٦.

(2) سر الصناعة جـ٢/١٢٩.

(3) العين جـ٧/٤٦٧، والاشتقاق لابن دريد ص٣٨٠.

(4) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكرى، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، جـ١/٤٧٩.

وتقلب الياء واواً إن سبقت بضمة فى اسم الفاعل من أفعل على وزن مُفْعِل نحو: مُوْقِن، مُوْسِر، واسم المفعول مُوْقَن، وموسَر. والمضارع: يُوقِن، يوسر. قلبت واواً؛ لأنها ساكنة قبلها ضمة، وقلبت ياء فى المبنى للمجهول لانكسار ما قبلها نحو: خيف، وقيل[1].

وحيوة قلبت الواو فيها عن ياء فى العلم خاصة؛ لأن الأعلام كثيراً ما تغيّر إلى خلاف ما يجب أن تكون عليه الكلمة، وقيل الواو فيها أصل، والأرجح أنها قلبت عن ياء، فالأصل: حيى، وحييان، وحيَّان. ويقولون سُوَّاح، والصواب: سُيَّاح من مادة ساح يسيح، فأصل الألف ياء، مفردها: سائح. وجمعه: سائحون. وقد جمعت على فُعَّال، نحو: ناظر: نُظَّار. حاكم: حُكَّام.

والياء فى الجمع لا تقلب واواً بل تكون على الأصل. ويقولون: كلوة، وخصوة، والأصل: كُلية، وخُصْية، ويقولون: رقوة، والأصل: رُقْية[2].

وصحت الياء دون قلب، فلم تعل إلى الألف أو الواو ولم تبدل همزة فى نادر كلام العرب والأصل فيها الإعلال، ولكن بعض العرب التزم الأصل: أخَيَل، وأغَيَل، وأغيم (أغام)، أطيب (أطاب)، وهذا شاذ؛ لقلته.

ولا يدخل فى ذلك أفعل نحو: أبْيَض، أبْيَع؛ لمشابهته أفعل التفضيل فى المعنى والمنع من الصرف، وحمل عليه أبين واستبين، وأعين بمعنى أصيبت عينه فبقى على الأصل للتفريق بينه وبين أعان من العون والمصدر الإعانة.

ولم تقلب الياء فى بَايَعَ وتبايع؛ لأنه من غير الثلاثى: بيع باع؛ لأن الياء أصل، وقد سكن ما قبلها الألف وهو فرع زائد، وقد سبقت الياء بساكن فامتنع قلبها ألفاً؛ لئلا تحذف، وقد جيء بالألف زائدة لوظيفة، وحذف إحدى الألفين تنتفى به الوظيفة الصرفية، فبقى صوت الياء على الأصل[3] للحفاظ على ألف المفاعلة للدلالة على

---

(1) سر الصناعة جـ١/٢٩، والكتاب جـ٤/٢٤١.

(2) تثقيف اللسان ص٩٧.

(3) ارجع إلى: شرح الشافية جـ٣/٩٨.

المشاركة والتعدى، والحذف يمتنع فى المواضع التى يتغير فيها المعنى، وإن قلبت الياء همزة مثل التباس المعنى بغيره، وقد يكون دليلاً على المعنى، نحو: أخال وأخيل، فالأول بمعنى صار خالاً وعائلاً من الخول والتهيّؤ، والثانى: أخيلت السماء: تهيأت للمطر، إذا أرعدت وأبرقت، وأخيلت الأرض: امتلأت خيلاً أو كثرت بها الخيل مثل: أبطخت، وأذأبت، والعمل بالأصل صح عن بعض العرب نحو: أخيل: صار ذا خيل، وأغيم: صارت ذات غيم.

والياء الساكنة لا تقلب في نحو: بَيْع، لقوة الياء ولضعف الفتحة، ولكنها قلبت واواً فى مُوسِر ومُوقِن، لوقوعها بين ضم وكسر، فكرهوا الياء بعد الضمة، فأبدلوها واواً؛ لأن الضمة بعض الواو وقد بدأت بها، فتوقعت الواو بعد الضمة. ولكنها لم تقلب فى غُيُر وعُيَبة؛ لأنها لما تحركت قويت فى موضعها، فأتت الياء بعد ضمة.

وتقوى الياء بالتضعيف؛ فلا تقلب واواً بعد ضمة نحو: قُرون لُىّ (جمع ألْوَى). صحت الواو الأولى الساكنة؛ لأنها قويت بالإدغام فحصنها عن القلب، وتقوى أيضاً إن كانت ساكنة بعد فتحة نحو: بَيْت، وقيد، وشيخ، فلم تقلب؛ لأنها أقوى من الفتحة، وهى ساكنة وإن جاورت ياء أخرى متحركة فلا تقلب نحو قول امرئ القيس[1]:

قد أشهد الغارة الشَّعواء تحملنى جَرْداء معروقة اللَّحيَيْن سُرْحُوب

وأرى أنها قويت لمجيئها حرف إعراب، فإن حذفت أو تغيرت، ذهب عملها إضافة إلى أنها ساكنة.

جاءت الياء الساكنة ردفاً للمتحركة فلم تقلب لخفة الفتحة؛ ولمجيء الياء ساكنة بعدها، ولكنها إن تحركت فتحت نحو: بيع: باع، وهيب: هاب.

ولا تعل الياء فى بناء مِفْعَل نحو: مِخْيَط ووزن مفعال: مخياط. ولا تعل فى فعلان لتوسطها نحو: غليان، حَيَدان، وطيران، لم تعل؛ لئلا يلتبس بفعال.

---

(1) الديوان ص٢٢٥، وسر الصناعة جـ١/٣١، واللسان: عرف. والغارة الشعواء: الغاشية المتفرقة، ومعروقة اللحيين: عرى لحياها من اللحم. السرحوب من الخيل: العتيق الخفيف.

وصحت الياء ولم يقع حذف فى الفتيات؛ لئلا يلتبس بالمفرد، وصحت الياء دون حذف فى تحيّة للتضعيف وصحت كذلك فى عييّ وحييً، والجمع: أعييـاء وأعيًّـاء، وأحييـاء وأحيًّاء. وجمع حياء: أحيية وأحيَّـة؛ فيجـوز الإدغـام والفـك. ومثنـى الحيـا (الخصب والمطر):حييان مثل: فتى: فتيان[1].

وتسلم الياء المضعفة من القلب لقوتها نحو: سُيَّل (جمع سائل من سال) ومُيَّل (جمع مائل من مال)، وعُيَّل (جمع عائل)، ولُيّ (جمع أَلْوَى: المعوج)[2].

ولم تعل الياء فى جمع معيشة: معايش؛ لأنهـا أصـل فـى المفـرد، ومتحركـة فيـه، ومثلها: مخيلة: مخايل، ولم تعل فى عَيَايل جمع عَيِّل (مثل سيِّد وميِّت وهيِّن) وزن فيعل من عال يعول؛ لأنها فى المفرد لها حركة وقلبت فى جمع كبيرة: كبائر؛ لأنها ليست لها حركة فى المفرد[3].

وقلبت الياء إلى أصوات صحيحة، ومنها: التاء، وهى صوت أسنانى لثوى، وقد قلبت الياء تاء مما فاؤه ياء فى صيغة افتعل نحو: يسر: ايتـسر، ثـم اتَّسر، والأصـل: ايتسر، فأبدلت الياء تاء، وأدغمت فى تاء "افتعل"، والعلة فى قلبها عدم استقرار فاء الفعل على صورة واحدة لو لم تبدل؛ لأنك تقلبها بحسب حركتها، ومن العرب مـن يجريها على القلب ولا يبدلها تاء فيقول: ايتسر، ويوتـسر وياتـسر، والمـشهور قلبهـا تاء[4]وحكمها فى ذلك حكم الواو. وأبدلت التـاء مـن اليـاء فـى بعـض الكلمـات النادرة، ومنها: ثنتان، أصلها: ثنيان، فأبدلت التاء من الياء، يقال: ثنى، وكيت، أصلها: كيَّة، وذيت، أصلها: ذيَّة[5]، وقيل أصل الياء هاء.

---

(1) شرح الشافية جـ٣/١٢٢.

(2) شرح الشافية جـ٣/٨٧.

(3) الكتاب جـ٤/٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٥، ٣٥٦.

(4) سر الصناعة جـ١/١٤٨.

(5) سر الصناعة جـ١/١٥٢، والتتمة ص١٢٧، ذيت من ألفاظ الكنايات، تقول: فعلت كيـت وكيـت أو ذيـت وذيت، وهما كناية عن القصة أو الأحدوثة، وقيل أصل التاء فى كيت هاء، مثل ذيت والأصل كيَّـة، وذيَّـة، فصارت تاء فى الوصل، اللسان م٣/٥٣٧، و م٩/٧٧٥ .

وقيل: التاء فى أسنتوا بدل من الياء: سنى، لقولهم: تسنيت عنده إذا أقمت عنده سنة، والمشهور فيها أنها بدل من الواو[1] وهذا قليل غير مطرد.

وأبدل بعض تميم الجيم مكان الياء فى الوقف مضعفة وخفيفة وذلك؛ لأن الجيم من مخرجها (الغار) والجيم أظهر فى الأداء من الياء لخفة الياء، ومما روى فى ذلك قول شاعرهم (قيل من بنى سعد)[2]:

خالى عُوَيفُ وأبو علجِّ المُطعِمَانِ اللحم بالعَشجِّ
وبالغَدَاةِ فِلَقَ البَرْنِجِّ يُقلَعُ بالوَدِّ وبالصيّصِجِّ

والشواهد: أبو علجٍّ، والعشِجِّ، والبرنجٍّ، والصيِّصِجّ، يريد: أبو على، العشى، البرنى (نوع جيد من التمر)، الصيِّصى (واحد الصياصى: قرون البقر). وتبدل الياء الخفيفة جيماً فى لهجة بعضهم، وأنشد أبو زيد فى ذلك[3]:

ياربِّ إن كنت قبلتَ حِجَّتجْ فلا يزالُ شاحِجُ يأتيكَ بجْ
أقمر نهَّات يُنَزِّى وَفْرَتجْ

والشواهد: حَجَتجْ، بجْ، وفرتجْ، أراد: حَجّتى، بى، وفرتى، وقد قلبت الياء الخفيفة جيماً؛ لأنها أبين الحروف[4]، والجيم من مخرج الياء وأبين منها فى الصوت.

وتميم تبدل الياء هاء فى "هذِى" يقولون فى الوقف: هَذِهْ بسكون الهاء، وأبدلت الياء هاء لخفاء الياء بعد الكسرة فى الوقف، والهاء بعدها أظهر منها، وقد أبدلت هاء لقرب الهاء من الألف التى هى أخت الياء فى المد، وترد الياء فى الوصل يقولون: هذِى هند؛ لأن ما بعد الياء يبينها وقيس وأهل الحجاز يجعلون الوقف والوصل سواء

---

(1) سر الصناعة جـ١/١٥٢، ١٥٣.

(2) الكتاب جـ٤/١٨٢، شرح الشافية جـ٢/٢٨٧. والبيتان منسوبان لبدوى راجز لم يعينوه، وفلق: جمع فلقة وهى القطعة، ويرى فى موضعه. كُتَل: جمع كتلة. البرنى: نوع من أجود التمر، الود: أصلها: الوتد، قلبت تاؤه دالاً ثم أدغمت فيما بعدها، والصيصى مفرد صياصى وهى قرون البقر.

(3) شرح الشافية جـ١/٢٨٧، الشاحج: البغل أو الحمار، ويروى مكانه: شامخ، الأقمر: الأبيض، والنهات: النهاق، والنهيت والنهيق واحد. ينزى: يحرك، وفرة: الشعر إلى شحمة الأذن.

(4) كتاب سيبويه جـ٤/٢٨٠.

بالهاء. ولكن قلب الهاء من الياء لا يطرد فى كل ياء كما اطرد قلب الياء من كل ألف فى لهجة طيىء فى الوقف، وقد تشبَّه هاء هَذِى بهاء المذكر المكسور ما قبلها فتشبع مداً قياساً على قول بعضهم: بهى وفرسهى فتوصل بياء فى الوصل: "هذهى" وتحذف الياء فى الوقف "هذِهْ"[1] فى قولهم: هَذِه بسكون الهاء، فالهاء ليست بزائدة بل بدل من الياء فى "هذى"، وهذا يقع فى المقطع المفتوح آخر الكلمة مثل: هُدَه والأصل: هُدَى (علم مؤنث).

ومثلها: حبله أصلها: حبلى[2]، ويقع هذا فى الممدود بعد قصره نحو: نجله، أصلها نجلاء، ثم صارت نجلا، ثم أغلقت الهاء المقطع الطويل المفتوح فى الوقف فصارت نجلهْ، ولكنها ترد إلى الأصل، والهاء فى هذه لا ترد إلى الأصل؛ لأنها وقعت فى الخطاب قديماً، واصطلح الناس عليها.

والقلب المطرد فى الأصوات قانون عام يقع فى كل نظير، والأصوات التى وقع فيها إبدال، لا يشعر بها المتكلم فى كلامه؛ لأنه يطبق قانون القلب قياساً على حصيلته اللغوية، وتفسير أسباب التطور من عمل المتخصصين فيردون أسباب التطور إلى عللها، وقد ذكرنا بعض النماذج فى أكثر أصوات العربية تطوراً (وهى الألف والواو والياء والهمزة)، وقد وقع تطور فى الأصوات الصحاح[3] بيد أنه غير مطرد ولا يقاس عليه.

** ** ** **

(1) شرح الشافية جـ٢/٢٨٦، ٢٨٧، والكتاب جـ٤/١٨٢.

(2) سر الصناعة جـ١/٥٥٦.

(3) ارجع إلى: باب الإبدال فى كتب الصرف، ومن أشهر الكتب التى أفردت لهذا الموضوع: القلب والإبدال ليعقوب بن السكيت (ت٢٤٤هـ)، والإبدال والمعاقبة والنظائر لعبد الرحمن الزجاجى (ت٣٤٠هـ)، وكتاب الإبدال لأبى الطيب اللغوى (ت٣٥١هـ).

obeikandl.com

المراجع

١- الإبدال، لابن السكيت، تحقيق د. حسين محمد شرف، الهيئة العامة للمطابع الأميرية١٣٩٨هـ.

٢- الإبدال والمعاقبة والنظائر، عبد الرحمن الزجاجى، دار الولاء. ط١/ ١٤١٤هـ.

٣- أسباب حدوث الحروف، أبو على الحسين بن سينا، تحقيق محمد حسن الطيات، ويحيى مير، مطبوعات مجمع اللغة العربية، سوريا.

٤- أسس علم اللغة، ماريوباى، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

٥- الأشباه والنظائر فى النحو، جلال الدين السيوطى، تحقيق عبدالقادر الفاضلى، المكتبة العصرية، لبنان ط ١/ ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٦- إصلاح المنطق لابن السكيت، تحقيق أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف ط٣/ ١٩٧٠م.

٧- الأصوات اللغوية، الدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية ط١٩٨٥م.

٨- الأصول فى النحو، لابن السراج، تحقيق د. عبد الحسين الفتلى، مؤسسة الرسالة، بيروت ط١/ ١٤٠٥ هـ.

٩- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه، دار الكتب المصرية ١٩٦٠م، وطبعة المنار.

١٠- الاقتراح في أصول النحو وجدله، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق الدكتور محمود فجال، مطبعة الثغر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١١- الإمالة فى القراءات واللهجات العربية، الدكتور عبد الفتاح شلبى، دار نهضة مصر ط٢/ ١٣٩١هـ.

١٢- الإيضاح فى شرح المفصل، أبو عمرو عثمان بن عمر (ابن الحاجب)، إحياء التراث الإسلامى، وزارة الأوقاف، بغداد، ١٩٨٣م.

١٣- البحر المحيط، لأبى حيان الأندلسى، دار الفكر، بيروت، ط٢/ ١٣٩٨هـ.

١٤- التتمة في التصريف لأبي عبد الله محمد بن أبي الوفاء الموصلي، المعروف بابن القبيصي، تحقيق الدكتور محسن سالم العميرى، ط١/ ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

١٥- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك، حققه وقدم له محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٣٧٨هـ،١٩٦٧م.
١٦- التصريف الملوكى ، أبو الفتح عثمان بن عبد الله بن جنى ، تحقيق الدكتور البدراوى زهران ، الشركة المصرية العالمية للنشر (لونجمان) ط١/ ٢٠٠١م .
١٧- التطور اللغوي، الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
١٨- التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني، عناية: أوتويرتزل، استانبول، مطبعة الدولة١٩٣٠م.
١٩- الحجة في القراءات السبع لأبى على الفارسى، تحقيق على النجدى ناصف، والدكتور عبد الحليم النجار والدكتور عبد الفتاح شلبى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤/ ١٤٠٣هـ.
٢٠- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد على النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م.
٢١- دراسات لغوية ، الدكتور عبد الصبور شاهين ، ط ١٩٩٥ م ، مكتبة الشباب .
٢٢- دراسة الصوت اللغوى، الدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
٢٣- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق أحمد فريد، المكتبة التوفيقية (د.ت).
٢٤- شرح شافية ابن الحاجب، رضى الدين محمد الاستراباذى، مع شرح شواهده للبغدادى، حققه محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيى الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
٢٥- شرح الكافية فى النحو، رضى الدين محمد الاستراباذى، تحقيق أحمد السيد، المكتبة التوفيقية (د.ت).
٢٦- شرح المفصل، موفق الدين يعيش بن على بن يعيش، تحقيق أحمد السيد وإسماعيل عبد الجواد، المكتبة التوفيقية، (د.ت).

٢٧- علم الأصوات، دراسة مقارنة، الدكتور صلاح الدين حسنين، دار الاتحاد العربية، ط٢/ ١٩٨٣م.
٢٨- علم الأصوات، الدكتور كمال بشر، دار غريب، ط١/ ٢٠٠٠م.
٢٩- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدى، تحقيق الدكتور مهدى المخزومى والسمرائى، جامعة بغداد.
٣٠- الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجى ودار الرفاعى، ط٢/ ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
٣١- كتاب الإبدال، أبو الطيب اللغوى، تحقيق: عز الدين التنوخى، نشره مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٦٠م.
٣٢- كتاب الحروف والمعانى، الزجاجى، تحقيق على توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الأمل، إربد، الأردن.
٣٣- المحتسب، أبو الفتح عثمان بن جنى، تحقيق على النجدى ناصف، وإسماعيل شلبى، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.
٣٤- المزهر فى علوم اللغة، جلال الدين السيوطى، تحقيق محمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل، وعلى محمد البجاوى، مكتبة دار التراث، مصر، ط٣.
٣٥- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصارى، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، ط صبيح، القاهرة.
٣٦- المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر ١٣٩٩هـ.
٣٧- المقرب، ابن عصفور، تحقيق أحمد عبد الستار الجوارى، وعبد الله الجبورى، مطبعة العانى، بغداد، ط١/ ١٣٩١هـ ١٩٧١م.
٣٨- الممتع فى التصريف، ابن عصفور، تحقيق فخر الدين قباوة، دار المعرفة، بيروت.
٣٩- من أسرار اللغة، الدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو، مصر ١٩٧٥م.
٤٠- المنصف، ابن جنى، تحقيق إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، البابى الحلبى ط١/ ١٣٧٣هـ.

٤١- النشر فى القراءات العشر، ابن الجزرى، تحقيق محمد على الصباع، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٢- النوادر فى اللغة، أبو زيد الأنصارى، تحقيق الدكتور محمد عبد القادر، دار الشروق، مصر.

** ** ** **

obeikandl.com